

أديبات

54

Twitter: @abdullah1994

30.4.2018

# الشيء والفقوة



الدار السعودية  
للنشر والتوزيع

# أُوبَيْيْتُ الشَّائِي وَالْقَهْوَةَ وَالزَّخَاةَ

تأليف  
مُحَمَّد طَاهِر بن عَبْدِ الْقَادِر الكُرُوي المَلِكِي  
المخطاط غفر الله له

الناشر



الدار السَّعُودِيَّة  
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الطبعة الاولى

الحمد لله الذي بيده مقاليد السموات والارض ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد شفيع الامة يوم الحساب والعرض وعلى آله واصحابه الطاهرين الابرار ( اما بعد ) فلما كان الشاي والقهوة والدخان مما شاع شربها واستعمالها في هذا الزمان ، في جميع الممالك والبلدان ولدى كافة الناس حتى الكبار والصغار من المسلمين والافرنج .

احببت ان اجمع رسالة لطيفة مما قاله الادباء والظرفاء فيها على سبيل الفكاهة ، ولم اتعرض لذكر منافعها او مضارها لان ذلك لا يخفى على اولي الحكمة والنباهة وكم ذكر فطاحل الشعراء قديماً وحديثاً في الخريات من القصائد والأبيات .

جمعتها لمفاكهة الاخوان الافاضل ، ومنادمة الاصدقاء الاماثل ، جلبها للبسط والانشراح وترويحاً للنفس بلطيف المزاح « فقد قيل » ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، وتملأ كما تملأ الابدان .

قال بعض الظرفاء :

فنادم رقيق الطبع وامرح ولا تزد  
فللنفس في بعض المجون شفاء

وقال بعضهم ايضاً :

همُّنا العلم لا مراضُ الجفونِ لا تَظنُّوا مرجّـماتِ الظنُّونِ  
انَّ هـزْلاً اقولُهُ في المـُـجـونِ لـمـعـينٌ عـلـى صـعـابِ الفـنـونِ

واني لم أجد رسالة في هذا الشأن غير ثلاث رسائل مطبوعات ،  
« الاولى » للشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي « والثانية » تسمى  
سماع الناي في شرب الشاي « والثالثة » تحفة الاحباب في ذكر  
ما طاب من الشراب . وهذه بذيل رسالة تحفة الملوك المكية وهما  
من نظم الشيخ احمد بن امين الشهير ببیت المال المكي رحمه الله  
تعالى وقد نظمها سنة ألف ومائتين وتسع وثمانين هجرية ثم  
طبعها سنة ١٢٩٠ هـ بالمطبعة الكاستليه بمصر .

وكل هذه الرسائل تبحث اما عن منافع هذه المشروبات  
الثلاثة او عن منابتها وانواعها ، او عن كيفية طبخها واستعمالها—  
واظرف هذه الرسائل رسالة الشيخ احمد بيت المال المكي — اما  
رسالتي هذه فهي وإن كانت من جنس تلك الرسائل ، غير انها  
تخالفا في طريقتها ، وتباينها في منهجها ، فهي رسالة ادبية ،

ونوادر فكاهية ، يستظرفها كل اديب ، ويستلطفها كل لبيب ،  
وهي على صغرها تعد هي الاولى من نوعها .

وليعذرني القارئ الكريم ان وجد فيها شعراً غير جيد لا  
يرضي ارباب الانشاء والادب ؛ او ابياتاً ركيكة لا تبلغ درجة  
الفصاحة في لغة العرب ، فاني لم اتعمد انتخاب الجيد والحسن ، ولم  
ألتزم تمييز الفاضل من المفضول ، لأن الرسالة فكاهية محضة لا  
تحتمل ذلك . فربّ مَثَل عامّي اوقع في النفس من الفصيح —  
على أنني أتمثل بقول القائل :

ما راجَ من قولي فخذهُ وما تجدُ  
من زائفٍ فاتركهُ لي ملفوفاً

لا بد أن تجدَ الصيارفُ مرّةً  
بين الدراهم درهماً مزيفاً

إنّ المصنّف لا يكونُ مصنفاً  
إلا إذا جعلَ الكلامَ صنوفاً

هذا وقد جعلت رسالتي محصورة في مقدمة وثلاثة أقسام .  
نسأل الله تعالى الرضا والتوفيق ، والعفو والعافية ، والمغفرة  
والاحسان ، انه بعباده لطيف خبير .

المؤلف

محمد طاهر الكردي المكي الخطاط

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## خطبة الطبعة الثانية

الحمد لله الحليم العظيم ذي الجلال والاکرام ، والصلاة والسلام على سيدنا (محمد) النبي الامي سيد الانام وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين (وبعد) فلما كان كتابي « ادبيات الشاي والقهوة والدخان » مقبولا ومرغوبا لدى كافة الطبقات ، من العلماء الاعلام ، والادباء الكرام ، والشعراء النبهاء ، والمثقفين الفضلاء — لما فيه من الفكاهات الطريفة ، واللطائف الظريفة ، مما يطرد عن النفس السامة والملل ويبث في القلب البسط والنشاط والامل ، وقد قاربت الطبعة الاولى منه على النفاذ . ( بادرت ) باعادة طبعه للمرة الثانية وادخلت عليه كثيرا من الزيادات من المُلح والفوائد كما وضعت صوراً لادوات هذه المشروبات الثلاثة ، حتى صبح والله الحمد هو الكتاب الوحيد من نوعه ، وكان اول اشتغالي به في عام ١٣٤٥ للهجرة حينما كنت طالبا في الازهر الشريف بمصر ولا زلت اجمع ما قيل في الشاي والقهوة والدخان ، من المجلات والجرائد وافواه الرجال حتى الآن ، ولا اتعمد اختيار الجيد من

القصائد والاشعار ، بل اضع ما رأيت ولو باللغة العامية ، اذ  
القصد ترويح النفس وجلب البسط والسرور

هذا اختياري فوافق ان رضيت به  
او لا فدعني وما أهوى وأختار

ولا يخفى على كل ذي عقل سليم ، وكل فاضل واديب كريم  
ان المزاج اللطيف والدعابة البريئة والنكتة الحلوة ، مما تخفف  
عن النفس السامة والملل ، وتدفع الذهن الشارد والفكر الراكد  
الى النشاط والعمل ، ويكفيها في هذا المقام الاستدلال بقصة  
الصحابي الجليل نعيم بن عمرو الانصاري رضي الله تعالى عنه  
التي نذكرها استطراداً بعد هذه الخطبة .

واني الآن وقد بلغت الستين من العمر كثيراً ما اتمثل بقول الشاعر:

صرفتُ زمانا في فنونٍ جمعتها  
وافرغتُ جهدي والجنونُ فنونُ

فلما تجلّى الامر وانكشف الغطا  
تبين لي انَّ الفنونَ جنونُ

نسأل الله الحليم العظيم ، الغفور الرحيم ، ان يغفر لنا ذنوبنا ،  
ويستر عيوبنا ، وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وان يختم اعمالنا  
بالصالحات وحياتنا بالايمان الكامل ، وان يمتتنا على طهارة

ونظافة وان يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ،  
ويجعلنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ربنا آتينا في  
الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وادخلنا الجنة  
مع الأبرار ، يا عزيز يا غفار ، وصلى الله على نبينا وشفيعنا  
وسيدنا محمد النبي العربي المختار ، وعلى آله واصحابه الكرام  
البررة الأطهار ، وسلّم تسليماً كثيراً آمين.

المؤلف

محمد طاهر الكردي

الخطاط بوزارة المعارف بمكة المشرفة





## ترجمة الصحابي نعيان الأنصاري

هو نعيان بن عمرو بن رفاعة الأنصاري، شهد بدرًا وكان من قدماء الصحابة وكبرائهم وكانت فيه دعابة زائدة وله اخبار ظريفة في دعابته — منها — خبره مع سويبط بن حرملة : قالت ام سلمة رضي الله عنها ان ابا بكر خرج تاجراً الى بصرى ومعه نعيان وسويبط بن حرملة وكلاهما بدري وكان سويبط على الزاد فجاءه نعيان فقال: أطعمني فقال لا حتى يجيء أبو بكر وكان نعيان رجلاً مضحكاً مزاحاً فقال لأغيظنك فذهب الى أناس جلبوا ظهراً فقال ابتاعوا مني غلاماً عربياً فارهاً وهو ذو لسانٍ ولعله يقول أنا حرٌّ فان كنتم تاركيه لذلك فدعوه لا تفسدوا عليّ غلامي فقالوا بلى نبتاعه منك بعشر قلائص فأقبل بها يسوقها وأقبل بالقوم حتى عقلها ثم قال دونكم هو هذا فجاء القوم فقالوا قد اشتريناك فقال سويبط هو كاذب أنا رجل حرٌّ قالوا قد أخبرنا خبرك فطرحوا الحبل في رقبتة فذهبوا به وجاء أبو بكر فأخبر فذهب هو وأصحاب له فردوا القلائص واخذوه فضحك النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك حولاً .

وعن ربيعة بن عثمان قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وأناخ ناقته بفنائيه فقال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لنعيمان بن عمرو الانصاري وكان يقال له النعيمان لو نحرمتها فأكلناها فانا قد قرمنا الى اللحم ويغرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمنها قال فنحرها النعيمان ثم خرج الأعرابي فرأى راحلته فصاح واعقراه يا محمد فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال من فعل هذا قالوا النعيمان فاتبعه يسأل عنه فوجده في دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب قد اختفى في خندق وجعل عليه الجريد والسعف فأشار اليه رجل ورفع صوته يقول ما رأيته يا رسول الله وأشار بأصبعه الى حيث هو فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تغبر وجهه بالسعف الذي سقط عليه فقال له ما حملك على ما صنعت قال الذين دثوك علي يا رسول الله هم الذين امروني قال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عن وجهه ويضحك قال ثم غرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم .

وعن عبد الله بن مصعب قال كان مخزومة بن نوفل بن وهيب الزهري شيخاً كبيراً بالمدينة أعمى وكان قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة فقام يوماً في المسجد يريد ان يبول فصاح به الناس فأثاه نعيمان بن عمرو بن رفاعة فنحى به ناحيه من المسجد ثم قال اجلس هنا فأجلسه يبول وتركه فبال وصاح به الناس فلما فرغ قال من جاء بي ويحكم في هذا الموضع قالوا له النعيمان بن عمرو قال

فعل الله به وفعل اما ان الله علي ان ظفرت به ان اضربه بعصاي  
هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت فمكث ما شاء الله حتى نسي ذلك  
مخرمة ثم اتاه يوماً وعثمان قائم يصلي في ناحية المسجد وكان  
عثمان اذا صلى لم يلتفت فقال له هل لك في نعيان قال نعم اين هو  
دلني عليه فأتى به حتى اوقفه على عثمان فقال دونك هذا هو  
فجمع مخرمة يديه بعصاه فضرب عثمان فشجه فقيـل له انما  
ضربت امير المؤمنين عثمان فسمعت بذلك بنو زهرة فاجتمعوا في  
ذلك فقال عثمان رضي الله عنه دعوا نعيان فقد شهد بـدراً .

انتهى باختصار من الاستيعاب الذي بهامش كتاب الاصابة  
في تمييز الصحابة وقد ذكرت ترجمة النعيان ايضاً في الاصابة .

## مُقَدِّمَةٌ

لا بد للقارئ الكريم ان يعرف شيئاً عن اصل نبات الشاي والقهوة والدخان ، وهي المشروبات التي تدور حولها هذه الرسالة - لذلك رأيت ان اصنع نبذة صغيرة عن كل نوع من هذه الانواع الثلاثة من غير تعرض لمضارها او منافعها ، فكل ذلك معروف عند ذوي الخبرة ولا يخفى ان كل شيء اذا استعمل بكثرة وافراط ضرّ حتى الأكل من الطيبات ، وكل شيء حلال استعمل باعتدال ونظام حصل منه النفع ، وكل شيء قد يمدح وقد يذم حتى العسل . كما قال الشاعر فيه :

تقول هذا 'مُجَاجُ' النحل 'تمدحه'  
وإن 'تَدَمَّ' فقلّ 'قَيِّ' الزَّنابيرِ

ولقد كتب الباحثون والاطباء حول هذه المشروبات الثلاثة مقالات كثيرة في الجرائد والمجلات ، وانا اقتطف منها نبذة عن اصلها وذاتها فقط ، واترك الكلام عن بقية نواحيها الى من يهمه البحث والاستقصاء .

# تاريخ المقاهي

لم نر شيئاً عن نشأة المقاهي وظهورها ، ولكن  
من حسن الصدف اطلعنا على نبذة لا بأس بها  
كتبها مجلة « الاثنين » بعنوان « حرب على  
المقاهي » وهذا نصّها :

للمقاهي العامة توارىخ طريفة في حياة الامم والشعوب ..  
ففي تركيا ، مثلاً ، عرفت المقاهي لأول مرة عام ١٥٥٤ ، في  
عهد السلطان « سليمان القانوني » عندما اقدم رجلان ذكيان من  
ابناء دمشق وحلب في انشاء مقهيين في « القسطنطينية » كانا  
اول ما عهدته السلطنة العثمانية من هذا النوع في تاريخها الطويل ..  
ولم يكد يتم افتتاح المقهيين اللذين روعيت فيها الفخامة ،  
والأبهة ، حتى تكاثر عليها الرواد ، وذاع صيتها في كل مكان مما  
اغرى بافتتاح غيرهما في انحاء العاصمة .

وبعد انقضاء خمسة عشر عاماً على انتشار المقاهي ، تعالت  
صيحات الائمة والدراويش بالاحتجاج والاستنكار ، يقولون انه  
في الوقت الذي تزدهم فيه المقاهي بالناس ، تخلو بيوت العبادة  
وتقفز . وقد اجمعت الدوائر الدينية التي قادت هذه الحملة على  
اعتبار القهوة محرمة كالخمر !

ولم يتراجع الاتراك امام هذه الحملة ، بل مضوا في حياتهم  
يحتسون القهوة ، ويغشون المقاهي .. وبعد عشر سنوات اخرى  
تمكن العلماء والدرأويش من حمل الحكومة على سن عقوبات مدنية  
على شاربي القهوة ومرتادي دورها .. ولكن الاتراك قابلوا هذا  
التشديد بالتحايل على القانون - كما يحدث عادة في كل زمان  
ومكان - فنشأت للقهوة «سوق سوداء» وذهب الناس يتعاطونها  
في الخفاء !.

ثم تولى الحكم بعد ذلك وزير نشيط كان يخشى ان تصبح  
المقاهي موطناً للفتن ، فجدد صدور الاوامر بمنعها وجعل عقوبة  
المخالفين الجلد اول مرة .. فان تكررت المخالفة كان جزاء  
العائدين وضعهم في اكياس جلدية تخاط عليهم ، ثم اغراقهم في  
مياه البوسفور !.

\*\*\*

اما في بلاد العجم ، فكانت المقاهي مباحة لا حرج على  
مرتاديها ، وان اقتصر ارتيادها على افراد الطبقة المثقفة من  
المصلحين الدينيين ، ومفسري القوانين ، والشعراء والمؤرخين  
الذين يتخذون منها موطناً لاذاعة آرائهم ووضع ثمرات قرائحهم  
في خدمة الناس .

وفي عام ١٦٧٠ امتدت عدوى المقاهي الى المانيا ، وظلت  
الحال كذلك حتى عهد الملك فريدريك الاكبر ، الذي راعه تزايد  
مقادير القهوة التي يحتمسها رعاياه ، وتضخم الاموال التي يستولي

عليها التجار الاجانب تبعاً لذلك .. ولهذا اصدر قراراً يحض المواطنين « الصالحين » على احتساء البيرة بدل القهوة .. ولم تكن هناك غرابة في صدور قرار كهذا ، لان الملك فردريك نفسه نشأ على حب البيرة شأنه في ذلك شأن اسلافه وضباط جيشه .. وكان يعتقد تماماً ان المعارك الحربية التي كسبتها المانيا قد تمت على أيدي جيوش يحتمي جنودها البيرة !.

ومن الطريف ان نظرة فريدريك قد تطورت بعد ذلك الى النقيض ، فاحتكر هو استيراد البن والاشراف على طحنه ، حتى اصبح مورداً جزيلا الربح من موارده الحكومية !. وافضى ذلك الى نشوء طبقة جديدة من الموظفين اطلق عليها اسم « الشاميين » ، وكان افرادها يختارون من قدماء المحاربين ، ويعهد اليهم في تعقب أصحاب المطاحن غير المرخص بها ، وذلك بتشمم روائح البن الزكية المنبعثة من مكائهم !

وكان « الشاميون » يمنحون عادة نصف الغرامات التي يحكم بها على المخالفين .

\*\*\*

اما في انجلترا ، فقد صدر في عهد الملك شارل الاول قانون يحظر افتتاح المقاهي العامة وغشيانها . . وقد قوبل هذا القانون بالسخط الشديد من كافة الطبقات ، حتى اضطرت الحكومة الى تعديل القانون والسماح بفترة مدتها عام ونصف يستمتع بها

الجمهور بارتداد المقاهي وشرب القهوة .. ثم امتدت هذه الفترة الى اجل غير مسمى ، وتخلى القانون عن تشدده في هذا المجال ، وكانت النتيجة ان تكاثرت المقاهي ، وازدهرت في لندن ، واصبحت مراكز للناس من ذوي الميول المتقاربة والمهن المتشابهة ، ثم تطور امرها مع الزمن ، وقام على انقاضها كثير من النوادي المعروفة .

\*\*\*

اما في مصر ، فلا حرب على المقاهي ولا تحريم ، بل ان شوارع العاصمة ، والمدن الكبرى ، تتنافس في افتتاح المقاهي الجديدة ، وتتأنق في تزويدها بكل ما يغري بازجاء وقت الفراغ فيها ، ويحبب لروادها الراحة والخمول ، حتى اصبحت هذه المقاهي نفسها حرباً على الاخلاق ، وتعطيلاً لعوامل النشاط والانتاج والنهوض ، فهل يقدر لنا ان نشهد مثل هذه الحرب التاريخية على المقاهي عندنا ، ولو بالحد من انشائها على هذا النحو المتبع الآن .. او بتحديد ساعات عملها ، رحمة بأبناء الامة ، وتوجيهاً للنشاط الاجتماعي الذي تهدف اليه البلاد في نهضتها الحاضرة ؟!



# المقاهي والمجتمع

ذكرت مجلة مسامرات الجيب التي تصدر بالقاهرة  
بتاريخ ٧ يناير ١٩٥١ بعدد ٢٨٧ مقالة  
بالعنوان المذكور بقلم السيدة الفاضلة زاهية  
مرزوق وهذا هو نصها :

لا يعرف الذين ينددون بالمقاهي وروادها انها تؤدي خدمات  
اجتماعية ، تتفاوت وتختلف بتفاوت واختلاف الدرجة التعليمية  
وحالة المسكن والدخل الشهري ، وغير ذلك .

وقد اثبت البحث ان اكثر من ٩٠ ٪ من عائلات الطبقة  
الفقيرة في القاهرة والاسكندرية تقيم في غرفة واحدة تستعمل في  
النوم والاكل والطهو .. ويستحيل ان تستخدم في استقبال  
الضيوف ، ومن هنا كان لا بد لهذه العائلات من مقاه يقابل فيها  
الرجال ضيوفهم واصدقائهم .

كما ان هناك كثيراً من الطوائف البسيطة كطائفة المنجدين ،  
وعمال المطابع ، والطهاة يجلسون في مقاه خاصة معروفة ،  
يمكث فيها المتعطل منهم صباحاً ، حتى يأتي من يطلبه  
او يستخدمه .

لهذا ارى ان وجود المقاهي ضروري ، وان بعضها يؤدي

بالفعل بعض الخدمات الاجتماعية ، على ان ذلك لا يعني انني احبذ ارتيادها ، فما اقبح المقهى المزدحم برجال لا هم لهم الا التطلع للرائحات والغاديات ، وما اقبح الشباب الذين يقتلون وقتهم في لعب الطاولة .. وهم يستطيعون ان يشغلوا كل دقيقة من يومهم في زيادة ارباحهم ، او يريحوا في اوقات فراغهم ابدانهم واعصابهم ، ولقد قمت ببحث واسع النطاق على زوار المقاهي في القاهرة خرجت منه بأن نسبة الاميين الذين يرتادونها تبلغ ٢٩،٦ ٪ وذوي التعليم العالي ٥،٥ ٪ والمتوسط ٢٢،١ ٪ ودون المتوسط ٤٢،٨ ٪ .

ومن المتزوجين ٦١،٥ ٪ ومن غير المتزوجين ٢٧،٨ ٪ .  
ومن دخلهم جنيته الى عشرة ٢٩ ٪ ومن دخلهم ٢٠ فأكثر ٧ ٪ .

وبلغ عدد المترددين على المقاهي من ذوي المنازل الراحية ١٣ ٪ ومن ذوي المنازل ذات الحجرة او الحجرتين نحو ٣٠ ٪ .

من ذلك يتبين ان الطبقة المتوسطة اكثر الطبقات ارتياداً للمقاهي ، وهذه ظاهرة لا يجب ان تفوت المصلحين كما اثبت البحث الارتباط الكبير بين حالة المسكن وارتياح المقهى ، والتعليل واضح ، فان هذه الطبقة تتخذ من المقاهي صالونات لاستقبال الضيوف .

ولقد دلت الاحصاءات على ان ٨٥،٥ ٪ من رواد المقاهي

ليس لديهم مذياع ، وان ٨٧,٥ ٪ منهم غير مشترك في الصحف اليومية ، ومعنى ذلك ان المقاهي سدت نقصاً هاماً في حياتهم ، ونظرة الى الجدول الآتي تبين السر في تفاوت الاقبال على المقاهي حسب اختلاف الظروف .

النسبة	الاسباب التي تدعو للجلوس على المقاهي
٤٢,٣ ٪	لمجرد التسلية وضياع الوقت بأدوات التسلية الخاصة وسماع الراديو وقراءة الصحف ومسامرة الاصدقاء .
٢٠,٢ ٪	لمجرد شرب الشاي او القهوة او المشروبات الاخرى الساخنة والباردة .
١٢,٣ ٪	لمجرد التدخين ( شيشة وجوزة ) .
١٢,٣ ٪	لمجرد اللقاء في مواعيد خاصة .
٧,٧ ٪	لمجرد انتظار عمل في المهنة ، ( وتوجد لذلك مقاه خاصة بالطوائف ، كقهوة المنجدين والبنائين والفراشين والخدم والطهاة وغير ذلك ) ..
٥,٢ ٪	لمجرد الهرب من المنزل بسبب مشاكل عائلية او ظروف طارئة كما ذكر بعضهم وجود حماة في ضيافته وكثرة اطفاله وخوفه من زوجته ! .

هذه لحظة سريعة عن المقاهي ، اضعها تحت انظار المصلحين  
والمهتمين بالخدمة الاجتماعية ، وعندى ان فى وسعهم على ضوء  
الارقام الدقيقة التى قدمتها لهم ان يجدوا حلاً مناسبة لمشكلة  
المقاهى فى هذا البلد .



# قصيدة في صاحب مقهى

قال الاستاذ احمد الصافي النجفي في صاحب مقهى في كتابه  
« الأمواج » .

هَبْ صُبْحاً مِنْ كَرَاهٍ فَمَضَى  
رَاكِضاً مِنْ بَيْتِهِ لِلْعَمَلِ

حَاكِياً فِي عَدْوِهِ سَيَّارَةً  
أَوْقَدَتْ بِالطَّمَعِ الْمُشْتَوِلِ

دَخَلَ الْمَقْهَى وَأَلْقَى نَظْراً  
حَاسِباً كَمْ حَلَّةٍ مِنْ رَجُلٍ

فَإِذَا مَرَّ عَلَى قَهْوَتِهِ  
عَابِرٌ طَارَ لَهُ مِنْ جَذَلٍ

أَمِلَا أَنْ يَدْخُلَ الْمَقْهَى فَإِنْ  
رَاحَ أَغْيَاهُ ضِيَاعُ الْأَمَلِ

يَحْسَبُ الزَّائِرَ فِلْساً دَاخِلاً  
كَيْسَهُ يَرْجُو بِهِ أَنْ يَعْثَلِي

إِنْ رَأَاهُ دَاخِلًا حَيَاهُ أَوْ  
سَبَّهُ فِي الْقَلْبِ إِنْ لَمْ يَدْخُلْ

وَإِذَا دَارَ بِمَقْنَاهُ امْرُءٌ  
وَمَضَى فَارَ لَهُ كَالْمِرْجَلِ

قَائِلًا : هَلْ عِنْدَنَا مُنْتَزَةٌ  
لِجَنَابِ السَّائِحِ الْمُتَقِيلِ

يُخْرِجُ الصَّانِعَ مِنْ مَقْنَاهُ إِنْ  
عَامَلَ الضَّيْفَ بِبَعْضِ الْحَجَلِ

وَإِذَا مَرَّ بِضَيْفٍ مُدَّةً  
وَهُوَ فِي كُرْسِيِّهِ لَمْ يَزَلْ

قَالَ يَدْعُوهُ بِقَلْبٍ نَاقِمٍ  
إِنْ يَكُنْ فِي فَمِهِ لَمْ يَقُلْ

جِئْتَنَا صُبْحًا وَقَدْ صَارَ الْمَسَاءُ  
رَحَلَ الزُّوَّارُ لَمْ تَرَ حَلَّ

نَحْنُ نَهْوِي الضَّيْفَ إِنْ عَجَّلَ فِي  
فَلْسِهِ ثُمَّ مَضَى فِي عَجَلِ

عَقْلِهِ فِي فَلْسِهِ مُشْتَغِلٌ  
وَهُوَ فِي جَلْبِ الْوَرَى ذُو شُغْلٍ

طَلَبَ الزَّائِرُ مَاءً فَاُمْتَلَا  
مِنْهُ غَيْظًا كَادَ فِيهِ يَصْطَلِي

قَائِلًا بَلْ فَاطْلُبِ الشَّيْءَ الَّذِي  
لَكَ يَأْتِي بِالرُّؤَا وَالرَّبْحُ لِي

إِنْ أَرَدْتَ الْمَاءَ فَاقْصُدْ بَرْدِي<sup>(١)</sup>  
فَهُوَ لِلظَّمْآنِ أَصْفَى مِنْهَلٍ

جَلَسَ الضَّيْفُ فَمَا أَمْهَلَهُ  
بَلْ عَلَيْهِ انْقِضَ مِثْلُ الْاجْدَلِ<sup>(٢)</sup>

وَإِذَا أَمْهَلَ عِزْرَائِيلُ فِي  
قَبْضِهِ الرُّوحَ فَذَا لَمْ يُمِهِلْ

قَائِلًا عَجَّلْ وَقُلْ مَا تَبْتَغِي  
عِنْدَنَا مِنْ مَشْرَبٍ أَوْ مَأْكَلٍ

فَيَقُولُ الضَّيْفُ لَا أَبْغِي سِوَى  
رَاحَةٍ تُنْقِذُنِي مِنْ كَلَالِي

فَيُنَادِيهِ بِعُتْفٍ هَذِهِ  
قَهْوَةٌ لِلشُّرْبِ لَا لِلْكَسَلِ

فَإِذَا قَالَ لَهُ الشَّعْبُ غَدَا  
عَطِّلِ الْمُقَهَّى يُصَبِّ بِالْعَطَلِ

---

١ - نهر بدمشق . ٢ - الاجدل : الصقر .

# أصل الشاي

اول ما عرف الشاي في بلاد الصين ، ثم انتقل منها الى اليابان ، ثم انتقل الى الهند ، ثم الى البلاد الاوروبية ثم انتشر استعماله في جميع الممالك والاقطار ، ويقال ان الامة الانجليزية اكثر الامم الاوروبية شرباً للشاي وكان لا يشربه الا الخاصة ، بل ان ملك انكلترا الملك جورج الخامس كان يعمل الشاي لنفسه بيده . وقد بلغ في انجلترا ثمن الرطل منه نحو عشرة جنيهات وذلك في منتصف القرن السابع عشر للميلاد .

ولقد ذكرت مجلة الهلال التي تصدر بمصر القاهرة بتاريخ نوفمبر عام ١٩٥٢ في صحيفة ٧٨ ما نصّه :

« لقي استعمال الشاي لأول مرة في انجلترا مقاومة شديدة وكان «جون ويسلي» يؤكد انه شراب مفسد للأخلاق ، وحاول لورد «فوربس» ان يستصدر مرسوماً بقصر استعماله على الطبقة الارستقراطية لأنه مفسد للطبقات الأخرى ، ولا سيما طبقة العمال » .

هذا ما ذكرته مجلة الهلال فسيحان مغير الاحوال ، فلقد اصبحت بريطانيا الآن تستهلك من الشاي خمس مرات ونصف



ما تستهلكه من اللبن والبيرة ، كما ذكرته جريدة المصري بتاريخ ٤ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦ - وقالت جريدة الاساس التي تصدر بمصر ان متوسط استهلاك الفرد في بريطانيا من الشاي سنوياً هو ( ١٩٠٠ ) فنجان - ثم ذكرت الجريدة نبذة وافية عن تاريخ ظهور الشاي بعدها الصادر في ٦ شوال عام ١٣٦٧ هجرية لم ننقلها هنا لطولها .

واعلم ان الشاي شجيرات لا يزيد ارتفاعها على متر ونصف المتر ، تظل خضراء طول العام تحمل وريقات صغيرة طولها ما بين خمس سنتيمترات الى العشر ، ولا تقطف اوراقها منها الا بعد عامين من غرسها ، فاذا قطفت تنثر على حصر لتجف وتذبل ، ثم تدرج وتبرم باليد على سطح من الخشب ثم تعرض الأوراق لدرجة مخصوصة من الحرارة ليتغير لونها ، ولهم في قطف اوراق الشاي عناية كبرى ، فالذين يقطفونها يعتنون بتنظيف ايديهم ولباسهم عناية شديدة ويلبسون القفاز ويتجنبون الأطعمة ذات الرائحة القوية لأن الشاي سريع الالتقاط للروائح .

والشاي انواع يختلف بعضها عن بعض باختلاف نوع التربة المغروسة فيها والكيفية التي يجمعونها بها ، فعلى اجادتها تتوقف جودة الشاي .

فالشاي الاسود يمتاز عن الأنواع الأخرى بأن اوراقه اختمرت قليلاً قبل تجفيفها ، والشاي الأخضر النقي يصنع من تلك الأوراق من غير اختمار فيحصد قبل تخميره في اوعية

خاصة ، اما الشاي الأخضر التجاري فهو على الغالب شاي اسود ملون باللون المعروف بالأزرق البروسياني .

والشاي منه مفيد منعش وقد يضر إذا أخذ بكمية كبيرة خصوصاً اذا كان ثقيلاً وكان شربه على الجوع . واذا أجيد طبخه وعمله كان نفعه وشربه اكثر ، ولذلك يعرض مكتب الشاي الدولي كثيراً من الاشرطة السينائية الناطقة باللغة العربية تصور كيفية صنع الشاي بالطريقة الصحيحة ، كما ذكرته جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤ ذي الحجة عام ١٣٥٤ . هذا واشهر الأمم عناية بشرب الشاي ونظافة آلاته وادواته هم اهل ايران والأتراك واهل الحجاز واهل العراق واهل المغرب وبسمى الشاي عندهم بالأثاي وغالب شربهم الشاي الأخضر مع النعناع ، ويسمى الشاي عند أهل الحجاز بالشاهي وهم مولعون به يكثر من شربه على الدوام .

# أصل القهوة

القهوة من اسماء الخمر لكن المراد بها هنا قهوة البنّ المعروفة في زماننا ، والبنّ بذور أشجار دائمة الاخضرار قد تطول الى ستة أمتار فأكثر وتحمص هذه البذور فوق النار الى ان يحمر او يسود ثم تطحن وتدق وبعد غليان الماء يوضع شيء منها ثم يشرب ومنهم من يحليه بالسكر ومنهم من يشربه مرّاً ، والغلاف الذي على البذور وهو قشرها يحمص ويدق ثم يطبخ بالماء ويضاف اليه من السكر ما يحليه وقد يخلطون به قليلاً من الزنجبيل والقرفة والهيل ( حب الهال ) ، وهذا القشر يستعمله اهل اليمن بكثرة ، ولأهل مصر والأتراك وأهل نجد كيفية مخصوصة في تحضير القهوة وطبخها وقهوة أهل نجد أشد مفعولاً لهضم الطعام .

وقد ظهرت قهوة البن في بلاد اليمن في القرن التاسع للهجرة تقريباً وصلت اليها من ارض الحبشة ، ثم في القرن العاشر ظهرت في مصر وكان اول ظهورها في الجامع الأزهر برواق اليمن

لأن اليابانيين الموجودين فيه كانوا يستعملون شربها في اوقات مخصوصة .

ثم وصلت الى اوروبا في القرن السابع عشر للميلاد وأول مقهى انشئت في انجلترا عام ١٦٥٢ ميلادية ومن اوروبا انتشرت قهوة البن في جميع البلدان ، ويقال ان اول من شربها ، لويس الرابع عشر ملك فرنسا ، وكان الرطل منها يساوي ١٥٠ فرنكاً ، ويزرع البن في بلاد اليمن وفي الهند وفي الحبشة ويزرع في البرازيل بكثرة جداً وفي غيرها من البلدان .

# القهوة في آسيا وأفريقيا

جاء في مجلة نهضة افريقيا بتاريخ يوليو  
سنة ١٩٥٩ التي تصدر بالقاهرة بقلم الاستاذ  
محمد محمود زيتون عن القهوة ما نصه :

اكتشفت القهوة في بداية النصف الثاني من القرن السابع  
الهجري في بلاد اليمن ، حين ظهرت اشجارها في ( وصاب )  
( نهاري ) فوق الجبال عند ( زبيد ) ، وبعد شيوعها في بلاد  
العرب انتقل استعمالها الى مصر ، حتى اذا كانت سنة ٩٦٢ فتح  
احد الدمشقيين مقهى بالقسطنطينية ، فاجتمع عنده الناس  
وخاصة العلماء وشربوها ، ومن ثم انتقلت الى اوروبا وشاع  
استعمالها في جميع انحاء المعمورة .

وشجرة البن الذي تستخرج منه القهوة تشبه شجرة الكريز  
وثمرتها ، غير ان ورق الاولى أسمك واشهى طعماً ، وتتميز  
شجرة البن بأن اوراقها خضراء قائمة ، وأزهارها بيضاء تخرج

اثنتين اثنتين او ثلاثاً ثلاثاً، وفي وقت الخضرة يكون الثمر غصاً ومرأ ، فإذا احمر كان طعمه أشبه بطعم اللبن الحامض ، فإذا تم نضجه احمر لونه ومال الى السواد ، غير انه غالباً ما يجمع قبل نضجه وينشر فوق الاسطح المستوية للمنازل حتى يجف ويسود لونه ، ثم تدور عليه الرياح وبعد ذلك يذرى فيخلص البن من قشره ، وينقل هكذا الى بقاع المعمورة ، وأما البن الذي يترك قائماً على اصوله حتى يتم نضجه ، فانه لا يدهس بالرحى بل يقشر باليد ، ويترك حتى يجف كالزبيب وأهل اليمن يغلونه في الماء ثم يشربون منقوعه بارداً في الصيف ، فتفيد منه ابدانهم وهو اغلى ثمناً من النوع الذي يصدرونه الى الخارج بالقناطير المقنطرة .

ومن خواص شجرة البن انها تبلغ اقصى ارتفاعها وهو ثمان اذرع ، وتعمر ثلاثين سنة ، كما ان القهوة تنعش القلب ، وتزيل الكسل والخمول وتعين على السهر ، وتمنع من الصداع والزكام ، وتهضم الطعام اذا شربت منه بعد الاكل بساعة .

والقهوة نوعان : قشرية وبنية ، فالأولى من قشر البن فقط او منه مع حبه المقلو والآخرى من البن المدقوق او المسحوق يغلى في الماء حتى تخرج خاصيته ، وللناس فيما يشربون مذاهب ، فمنهم من يشرب القهوة مضافاً اليها بعض السكر ، ومنهم من يشربها بدونه ، ومنهم من يشربها في فنجان كبير ، ومنهم من يشربها في فنجان صغير .

واهتم المؤلفون بأصل كلمة ( قهوة ) وثار الجدل واحتدم بين الفقهاء والأمرء والمحتسبين حول تحليلها وتحريمها ، وصدرت الكتب ، ورسمت الفتاوى ، وضربت من اجلها رقاب وخربت بيوت ورمي شاربوها بالكفر والزندقة ، ثم أبيحت لهم ، ثم حرمت عليهم واختلفوا في اصل اشتقاقها ، فقال الفخر ابو بكر ابن ابي يزيد في كتابه ( اثار النخوة بحل القهوة ) انها من الاقهاء وهو الكراهة او الاقعاد ، ومنه سميت الحمرة قهوة لانها تقعد شاربها من النوم وتكرهه في الطعام كما تكلم عنها ( دى سامي ) في كتابه ( الانيس المفيد للطالب المستفيد ) وأسهب في فصول عنها الشيخ عبد القادر بن محمد الانصاري الجزيري في كتابه ( جمع الشذور من منظوم ومنثور ) ، وغير هؤلاء كثير .

وكان اول ظهورها باليمن فاستعملت كالحلقات المعروفة هناك باستعماله الى يومنا هذا ، وأول من استعملها الشيخ علي بن عمر الشاذلي اليمني ، وفطن اليها الصوفية فاستعانوا بها على السهر على يد جمال الدين الزنجاني اليمني المتوفي سنة ٨٧٥ هـ وقد اشتهر بالزهد والتقوى ، وانتقلت الى الحبشة والجبرت ( زيلع ) ومصر وغيرها من البلدان .

ويقول الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار ، ان القهوة لم تظهر

في مصر قبل العشر الاول من القرن العاشر الهجري ، فكانت تشرب بالرواق اليمني بالأزهر ، فكان المجاورون به من اهل اليمن يشربونها هم ومن يساكنهم بهذا الرواق من أهل الحرمين ، ثم انتشرت في اوساط الفقراء من اهل الذكر ولا سيما في ليلتي الاثنين والجمعة ، فتوضع في صحاف من الفخار يغترف منها رئيس الحلقة ويسقيهم بنظام أثناء الذكر ، كما يسقي الحاضرين من العوام .

وعرفت القهوة في كل مكان دون انكار فكانت تحتسى في البيوت والاسواق جهاراً لاخفية ، بمكة وبالمسجد الحرام بالذات وبالمدينة .

وصارت تقدم في بيوت الاكابر والأعيان للضيوف ، وصار القوم يتلذذون بنكهتها ، ثم انشئت المقاهي التي كانوا يطلقون عليها اذ ذاك ( بيوت القهوة ) وقد اقترن فيها شرب القهوة بالغناء والطرب والرقص ولعب الشطرنج والميسر والقمار ، وكان الرجال والنساء يجتمعون فيها وكانت الموبقات ترتكب باسمها ، فلما صار ضحاياها من السكرى والبغايا من الكثرة بحيث لفت ذلك نظر الفقهاء ، دعو الى تحريمها ومصادرة أدواتها وتعزير شاربيها ، واعتبار بيوتها كالحانات والمواخير سواء بسواء .

وفي سنة ٩١٧ هـ كان بمكة أخوان أعجميان يعرفان الطب ،



انكرا القهوة وقالوا بتحريمها فنثار بهما أهل مكة فرحلا عنها الى مصر ، وعلم بأمرهما الشيخ شمس الدين محمد الحنفى الخطيب فما زال يغري بهما السلطان سليم الاول حتى قتلها بالسيف ، وعاد فأوعز الى الامير خير بك المعمار باش مكة ومتولى الحسبة بها فأبطلها من الاسواق ومنع الناس من شربها وصادر ادواتها فصار الناس يتناولونها في بيوتهم ، لا يجرؤون على شربها جهرة ، وبينما هم كذلك اذ ورد من مصر مرسوم السلطان قانصوه الغورى بحلها ، فاتخذ خير بك ، واستعلن شاربوها وقال بعضهم شامتاً بالشيخ الخطيب :

قهوة البن حرمت فاحتسوا قهوة الزبيب  
ثم طيبوا وعربدوا وانزلوا في قفا (الخطيب)  
وقال آخر :

قهوة البن حرمت فاحتسوا قهوة العنب  
واشربوها وعربدوا والعنوا من هو السبب

وقصة خير بك طريفة ، فانه لما كان محتسباً بمكة من قبل الغورى مر ليلة ٢٣ من ربيع الاول سنة ٩١٧ ، قطاف بالكعبة الشريفة ، ثم شرب من ماء زمزم ، وعاد الى بيته ، فرأى في طريقه جماعة في ناحية من المسجد حول السيفى قرقماس الناصري ، فما ان رأوه حتى اطفأوا الفوانيس الموقدة ، فأثاروا

الشبهة حولهم ، فلما ارسل اليهم خير بك وجد بينهم شيئاً يتعاطونه على هيئة شراب مسكر ووجدهم يديرون كأساً بينهم يسقيهم بها قرقماس الذي زعم انه يقيم مولداً للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأنكر المحتسب ذلك عليهم وسأل عن هذا الشراب ، فأخبروه انه شراب اتخذ في هذا الزمان يأتي من اليمن يسمى القهوة ، ذاع وشاع في مكة ، وسرعان ما انعقد مجلس الشرع من القضاة . فأفتوا جميعاً بأن هذه الهيئة التي يجتمع عليها الناس لشرب القهوة وارتكاب الموبقات مما حرم الله .

وأما حب البن فشأنه شأن النباتات ، والاصل في الشرع الاباحة ، ما لم ينص على الحكم أو يثبت الضرر ، وجيء بالاطباء فقرروا ان القهوة مفسدة للبدن ، وختم الشهود ، ووقع القضاة ونودى في مكة بمنع تعاطي القهوة .

هذا ولم يشذ عن القضاة الموقعين القائلين بالتحريم الا مفتي مكة الشيخ نور الدين بن ناصر الشافعي فقد جهر برأيه واستمسك به ، فسمع ما يكره ، ولقي العنت والاذى ، وشنع على القضاة ، ورماهم بالنفاق واتقاء شر الامير بينهما هم كانوا في طليعة شاربيها .

وسرعان ما جهز هؤلاء القضاة سؤالاً وجهوه الى علماء مصر يستفتونهم في امر القهوة وقصدهم طبعاً احراج موقف خصمهم العنيد الذي يعارضهم ويشنع عليهم .

وصدر مرسوم الغوري بعد فتوى علماء مصر نقتبس منه مضمونه وقد جاء فيه : ( وأما القهوة فقد بلغنا أن أناساً يشربونها على هيئة شرب الخمر ، ويخلطون فيها المسكر ويغنون عليها بآلة ويرقصون ويسكرون ومعلوم ان ماء زمزم اذا شرب على هذه الهيئة كان حراماً ، لهذا منع التظاهر بشربها والدوران بها في الاسواق ) ، ومن ذلك يتبين ان الهيئة التي لازمت شرب القهوة أنكرها الذوق والشرع ، في حين ان القهوة ذاتها لم ينص المرسوم على منع تعاطيها ، بدليل ان السلطان لم يمنع ذلك في مصر .

وفي سنة ٩١٨ قدم مكة الامير قطلباي خلفاً لخير بك ، فشاع شربها واشتهرت اكثر مما كانت قبلاً ، وفي سنة ٩٣٢ قدمها محمد بن عراق ، فهاه ما يرتكب مع القهوة في بيوتها من محرمات فأشار على الحكام بإبطالها مع التصريح بها في ذاتها ، حتى توفي سنة ٩٣٣ ، فعاد الأمر كما كان ، وظلت القهوة أفضل تحية تقدم للأكابر والامثال ، وأفقي بحرقها الشيخ شهاب الدين بن عبد الحق السنباطي ، فثارت عليه العامة ، وندد به الشعراء حتى قال بعضهم :

ان اقواماً تعدوا والبلا منهم تأتي

حرموا القهوة عمداً قد رووا افكا وبهتا

ان سألت النص قالوا : ( ابن عبد الحق ) افقي

يا أولي الفضل اشربوها      واطرکوا ما کان بهتا  
ودعوا العذال فيها      يشربون الماء حتى

وكانت بيوت القهوة عامرة بروادها ولا سيما في رمضان ،  
وفي ذات يوم من سنة ٩٤٥ انقض رجال الشرطة على من كان بها  
واستاقوهم في الحديد والحبال وباتوا في اشنع حال اذ ضرب كل  
واحد منهم سبع عشرة جلدة ثم اطلق سراحهم وعاد الى  
احتسائها في القاهرة طلبة العلم واساتذتهم والصالحون واهل  
الفتوى انفسهم ، واصحاب الدروس بعد ان لمسوا فيها تجديد  
النشاط وذهاب الكسل . والله در مادحها اذ يقول :

يا قهوة تذهب هم الفتى      أنت لحادي العلم نعم المراد  
شراب اهل الله فيها الشفا      لطالب الحكمة بين العباد  
نطبخها قشراً فتأني - لنا      في نكهة المسك ولون المداد  
ما عرف الحق سوى عاقل      يشرب في وسط الزبادي زباد  
حرما الله على جاهل      يقول في حرمتها بالعناد  
فيها لنا تبر وفي حانها      صحبة ابناء الكرام الجياد  
كاللبن الخالص في حله      ما خرجت عنه سوى بالسواد

هذه لمحة خاطفة عن الدور الذي قامت به القهوة في التاريخ

بين آسية وافريقية ، وما كان في حلها هنا وتحريمها هناك من طرائف سجلها الادب العربي في شعر رائع متحرر من كل قيد وحسبنا من وراء ذلك كله ما كان ولا يزال للقهوة من اثر في تعاليدنا الاجتماعية المشتركة ، وعوائدنا العامة على الرغم من قلمازاتها الرائعة منذ اكثر من خمسمائة سنة فيما بين اليمن والحجاز والحبشة ومصر والشام ، ثم انتشرت من ربوع آسية وافريقية الشقيقتين الى اوروبا .

# أول كتابٍ وُضِعَ عن القهوة

يقال ان اول كتاب وضع عن القهوة منذ اربعمائة سنة هو كتاب « الطبيب الاوروبي » « برنارد دولف » ، فقد ألّفه في سنة ١٥٧٥ ميلادية ، كما ذكرته مجلة « الجيل الجديد » التي تصدر بمصر بمعددها ١٢٧ في ٣١ مايو سنة ١٩٥٤ بعنوان ( من هو اول رجل شرب القهوة في العالم ) ، ويستحسن ان نأتي هنا بنفس المقالة لما فيها من الطرائف وهذا نصّها :

« إن أزمة البن جعلتنا نتحدث عن كيف القهوة ... فكيف عرف العالم البنّ وكيف عرف الناس « كيف » القهوة .

تقول اسطورة شرقية ، انه كان في الحبشة في العصور الاولى للمسيحية رئيس دير يشكو دائماً من أن رهبانه يغلب عليهم النعاس اذا ما قاموا للصلاة في منتصف الليل .. وجاءه يوماً جمال وقص عليه قصة غريبة ، وهي ان هناك في بطن الجبل اعشاباً اذا ما تناولتها الجمال تظل ساهرة طوال الليل ، وقال ان

هذه الاعشاب عبارة عن شجيرات ذات اوراق طويلة تحمل حبات تميل الى الحمرة .. وسرعان ما أمره باحضار بعض اوراق هذه الشجيرات ، ثم غلاها وطلب الى الرهبان ان يشربوا ماءها . ولشد ما كانت دهشته عندما لاحظ انهم ينشدون صلاة نصف الليل بحماسة ونشاط غير معمولين .

### واسطورة اخرى

وتقول الاسطورة - ان صدقت - ان انتشار عادة شرب القهوة يرجع الى هذا الدير . وتقول اسطورة اخرى ان الرعاة العرب لاحظوا ان اغنامهم كانت تأكل من ثمرة معينة فيبدوا عليها نشاط غريب . وقد اقبل الرعاة ذات مرة على هذه الثمار يتذوقونها فلم يستسيغوا طعمها فألقوا بها الى نار موقدة ، فكانت لها رائحة ذكية عبققة فعمدوا بعد ذلك الى شرب ماء هذه الحبوب بعد غليها فيه وسموه - خمر الصالحين - اذ كانوا يستعينون بتأثيره على قيام الليل .

### اول من تحدث عن القهوة

وكان الطبيب - برنارد دولف - اول اوروبي تحدث عن القهوة في اوروبا . فقد نشر عام ١٥٧٥ كتاباً ذكر فيه ان الأتراك يشربون سائلاً أسود كالخبر وهم يحبونه ويفرمون به ، وقال ان

هذا الشراب ينفع في علاج امراض كثيرة وأخصها داء المعدة .  
وقد ادخل النمساويون القهوة الى اوروبا عام ١٦٨٣ بعد ان  
هزموا الأتراك في موقعة فينا . فقد حدث ان اراد امبراطور  
النمسا ان يكافئ أحد جنوده ويدعى ( كولشتزكي ) على بطولته  
فسمح له ان ينتخب بنفسه نوعاً من الغنائم ، فاختار الجندي كمية  
كبيرة من البن وتعلم من احد الاسرى الاتراك طريقة صنع  
القهوة .. ثم افتتح بعد ذلك مقهى في فينا . فكان اول مقهى  
في العالم .

### تحریم القهوة

وقد حرم شرب القهوة في عام ٩١٧ هجرية في اواخر دولة  
الغوري وفي عهد السلطان سليم الاول ، وقد نظم بعض الشعراء  
يتهمك على تحريمها :

قهوة البن حرمت فاحتسوا قهوة العنب  
واشربوها وعربدوا والعنوا من هو السبب

### اول دولة تنتج البن

وشجيرات البن تنمو في البرازيل وجزائر الهند الغربية وفي  
جزيرة العرب وجزائر جاوه وسومطره وسيلان وبعض انحاء



افريقيا .. ويقاسي العالم الآن ازمة حادة بسبب نقص البن . اذ امابته ( دودة ) قتلغ معظمه في البرازيل . وهي الدولة التي تعتبر الأولى في انتاجه .

وتحتوي حبوب البن على نوعين من المواد المنبهة الخفيفة وهما الكافيين والشيوبرومين ويوجد الكافيين بنسبة ١ الى ١,٥ ٪ ومن مزاياه انه منبه للأعصاب ويمتاز عن غيره من المواد المنبهة بأنه لا يحدث اي تأثير مهبط عقب شربه .. اما الشيوبرومين فيوجد بنفسه ضئيلة وهو مدر للبول .

# أصل الدخان

الدخان في عصرنا يطلق على جميع انواع التبغ ، وهو نبات له ورق عريض ويسمى بالتُّنُّ<sup>(١)</sup> وبالطَّبَّاق ، وكان يسمى في اوروبا التاياك والبيتون .

والدخان موطنه الاصلي امريكا ، فقد كان اهلها يستعملونه منذ اقدم العصور ولم يعرفه العالم إلا بعد اكتشاف امريكا ، وقد رأى كريستوف كولومب مكتشف امريكا الهنود الحمر يدخنونه حين نزل بحزيرة كوبا سنة ١٤٩٢ ميلادية ، ولاحظ ذلك ايضاً جاك كارتية حين وصل الى كندا سنة ١٥٣٤ ملادية ، وأول من نقله الى اوروبا ( فرنسيسكو فرنانديس ) الذي ارسله فيليب الثاني ملك اسبانيا للبحث عن حاصلات المكسيك فحمل معه الى اسبانيا بذور الدخان وزرعه في اوروبا لأول مرة سنة ١٥٥٨ م ، ثم ان ( جان نيكوت ) سفير فرنسا في البرتغال ارسل منه الى الملكة كاترين دي مديشي كدواء تستعمله لاذهاب الصداع الذي كان يلازمها .

---

١ - التتن بضم التائين ، والطباق بفتح الطاء حسب النطق العامي - واما الطباق بضم الطاء وتشديد الباء فهو شجر ينبت في جبال مكة كما ذكره صاحب القاموس .

فلقد كان الناس في ذلك الحين يعتبرون الدخان من جملة الادوية وكانوا يحفظون اوراقه ثم يسحقونها ويستنشقون مسحوقها ثم صار ينتشر بعد ذلك في ربوع العالم ، ويقال ان ملك فرنسا لويس الثالث عشر امر سنة ١٦٣٥ ميلادية ان لا يشرب ولا يباع الا للصيديات للتداوي به ، ودخل الدخان الى القسطنطينية سنة ١٦٠٥ في عهد السلطان احمد القانوني .

ويقال ان اول انجليزي دخنه هو البحار ( رالف لين ) ، وبعضهم يقول انه المكتشف المشهور ( سير رالي ) رآه احدهم ينبعث الدخان من فمه فحسب ان ناراً اندلعت في جوفه فسكر عليه وعاء مملوءاً بالماء .

وجاء في تاريخ افادة الانام بذكر اخبار بلد الله الحرام للشيخ عبد الله الغازي الهندي رحمه الله تعالى ما نصه — وفي سنة الف واثنى عشر حدث شرب الدخان بمصر في زمن علي باشا الملقب بالنمر وكذلك ظهر التنباك والدخان بأرض الحجاز ومكة والشام في هذا التاريخ ، ولم يعرف قبل ذلك ، كذا في خلاصة الاثر ذكره في تحصيل المرام وفي خلاصة الكلام وكان اول ظهور شجرة الدخان سنة تسعمائة وتسع وتسعين ومما كان في دولة مولانا الشريف مسعود انه منع الناس من التظاهر بشرب الدخان فرفع من المقاهي والاسواق وصار حاكمه يقبض على من يرى عنده من الاطواق وكان ذلك في سنة تسع واربعين ومائة والف انتهى من تاريخ الغازي .

والدخان يزرع في كثير من البلدان كالعراق والعجم وتركيا  
واليمن - وهو انواع ويزرع منه في الحجاز النوع الاخضر ومن  
المغرب ان رماد السيجارة اذا وضع في جرح طهرها وبرىء  
سريعاً جداً .

أما الجراك<sup>(١)</sup> - فهو معجون مجمع من جملة اشياء منها  
الدخان والعسل وبعض الفواكه وجملة من النباتات العطرية وغير  
ذلك ، وهو ذو نكهة ورائحة مقبولة ، وهو ايضاً أنواع اجودها  
ما يستحضر بطريقة خاصة وهو من اختراع الهند ووارداته ،  
والاحسن استعماله بعد الماء كوت الدسمة . وهو يستعمل بكثرة  
في مدينة جدة وبلاد الهند .

ومؤلف هذه الرسالة لا يستعمل شيئاً من انواع الدخان  
والجراك قط ، وله في شرب الشاي والقهوة نظام دقيق وعادة  
خاصة .

---

١ - بضم الجيم وفتح الراء المخففة .

# القسم الأول

## مَا جَاءَ فِي الشَّاي

الى هنا انتهينا من مقدمة الكتاب وما جاء عن  
اصل الشاي والقهوة والدخان، ونعتقد اننا قد  
اسهنا راعطينا هذا الأمر حقه الوافي بما لا  
يوجد في كتاب - فلنذكر الآن ما ورد في  
هذه المشروبات الثلاثة من الادبيات .

قال بعض علماء شنقيط في وصف الشاي وشربه نبذة لطيفة  
تعد من النوادر والملح على نمط متن خليل في فقه المالكية وهي :  
الشايُ وَرَقٌ مُزِجَ مَاءُهُ بِسَكَّرٍ لَا كَقَرْنَفَلٍ وَحَنَاءٍ ،  
وَاسْتُحْسِنَ مَفْتُولُهُ ، وَوَجِبَ أَنْ عُرِفَ وَقَدِّرَ ، كإقامته  
لذِي فَضْلٍ اعْتَادَهُ ، وَزَمَنَ شَتَاءٍ ، وَعِنْدَ تَعَبٍ ، وَبَعْدَ  
كَلَجَمٍ ، وَهَلْ تُكْرَهُ الْحِنَاوِيَّةُ أَوْ تُنَمَعُ خِلَافُ (١) .

---

١ - المراد بالحناوية الشاي الاحمر والمغاربة يشربونه بقلة اما الشاي  
الاخضر فيشربونه بكثرة . مع وضع النعناع فيه ، والمفتول نوع  
جيد من الاخضر .

أَوْ إِنْ لَمْ يَضُرَّ الْأَخْضَرُ بِأَحَدِ الشَّرْبِ<sup>(١)</sup> ، أَوْ لَمْ يُوجَدْ  
وَلَمْ تَنْفَعِ الْحِنَاوِيَّةُ أَوْ مُطْلَقًا ، تَأْوِيلَاتٌ - وَحَدُّهُ  
أَرْبَعٌ وَهُوَ الْأَرْجَحُ ، وَفِي إِجْزَاءِ ثَلَاثٍ تَرَدُّدٌ ، وَنُدِبَ  
إِنْتِقَاءُ شَرْبٍ ، وَنَظَافَةٌ مَجْلِسٍ بَعَبَثٍ أُبِيحَ ، وَتَشْهِيرُ  
ثَالِثَهُ وَرَابِعُ جُمَرٍ<sup>(٢)</sup> ، وَكُرَهُ لِمَنْفَرِدٍ بَيْنَ أَرْذَالٍ  
جَدًّا ، وَتَطْفُلٍ عَلَى كِبَرَانِيٍّ ، وَنَقْدٍ عَلَى مُقِيمٍ ،  
وَلِفَرَجِيٍّ وَصَبِيٍّ<sup>(٣)</sup> دَقِيقُ سُكَّرٍ ، وَمَصُّ وَرَقَةٍ ،  
وَكَأْسٌ مِنْ غَيْرِ الْأَوَّلِ وَزَيْفًا<sup>(٤)</sup> .

انتهى نقلنا هذا مشافهة من شيخنا العلامة المحدث الشهر  
مؤلف زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم الشيخ محمد  
حبيب الله الشنقيطي رحمه الله تعالى رحمة الأبرار المتوفي بمصر  
في اليوم الثامن من شهر صفر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة والـف .

قال الشيخ عبد الجليل برادة المدني المتوفي عام ١٣٢٥ هـ .  
تقريباً في الشاي :

- 
- ١ - الشرب بالفتح جمع شارب كصاحب وصاحب .
  - ٢ - التشهير في عرفهم تسخين البراد ، والتجمير اخص منه وهو جعل  
البراد على الجمر خاصة .
  - ٣ - الفرجى بفتححتين في عرفهم الساقى .
  - ٤ - المراد بالتزييف غسل ادوات الشاهي .

أرى كلَّ ما تحوي مجالسُ أنسِنَا  
جنوداً لدفعِ الهمِّ سلطانها الشاهي

وليسَ لها أمرٌ يتمُّ بدونه  
وهلَّ تمَّ أمرٌ للجنودِ بلا شاهٍ

وقد خمّسَ هذين البيتين بعضُ افاضلِ اهلِ المدينة فقال :

أدر كَأْسَ شاهيِّ شهيِّ وأسقنا  
وفرَّجْ به همّا بنا قد تمكّنا

فاني لعمرى دائماً طولَ دهرنا  
( أرى كلَّ ما تحوي مجالسُ أنسِنَا

جنوداً لدفعِ الهمِّ سلطانها الشاهي )

تراه على كرسيِّه في صحونه  
ملكاً عليه تاجه في حصونه

مجالسنا تزهو بلطفِ فنونه  
( وليسَ لها أمرٌ يتمُّ بدونه

وهلَّ تمَّ أمرٌ للجنودِ بلا شاهٍ )

« وقال بعضهم في تخميسه ايضاً :

أدر أيها السّاقى مُشعشعَ كَأْسِنَا

وأحسِنْ به لا مِسْكَ السّوءِ محسِنَا

فإني وكلُّ القصدِ بسطُ جليسِنَا

أرى كلَّ ما تحوي مجالسُ أنسِنَا

جنوداً لدفعِ الهمِّ سلطانها الشاهي

إذا ما أتى السّاقى بهِ في يمينه

تبَيَّنَتْ نَجْمَ اليُمنِ فوقَ جبينه

وحلَّ بهِ أمرُ الشُّرورِ بجمه

وليسَ لها أمرٌ يتمُّ بدونه

( وهل تمَّ أمرٌ للجنودِ بلا شاهِ )

ونال الشيخ عبد الجليلُ برّادة ايضاً :

زُفِّهَا لي بنتَ شاهي الصّيني

واهدّها لي في ثُخوتِ الصّيني

وأذبْ لي<sup>(١)</sup> بهرمانياً على

جامِ دُرٍّ مُذهَّبِ التّلوينِ

---

١ - المراد به السكر الابيض الباهر .



حكّتِ الوجنةَ في تَوْرِيدِها  
وَزَكَّى العَرَفِ كالنَّسْرِينِ<sup>(١)</sup>  
في رِياضٍ لَعِبَتْ أَعْطَافُهَا  
حِينَ غَنَّى الطَّيْرُ بالقَانُونِ  
وقال ايضاً :

إذا مجلسٌ للأنسِ تمَّ نظامُهُ  
وما دارَ فيه كأسُ شايٍ مغنبرُ  
لعمري وان حازَ المسرَّاتِ ناقصُ  
وما هو في عَدِّ المجالسِ يُذكرُ  
وقال بعض فضلاء أهل مكة :

وشربُك للشاهي يَزِيدُكَ بهجةً  
إذا كان معُ صحبٍ وفي وسَطهمْ جَلُّوا  
ودعْ كلَّ مشروبٍ سواهُ ومِلْ لَهْ  
إذا كان متقوناً وفي جوفهِ الحَلُّوا  
وضعُ فيه من طيبٍ يسمَّى بعنبرٍ  
كذاك حلياً فهوَ أجمعُ للشهوى

---

(١) النسرين بكسر النون الاولى قال في المنجد هو ورد ابيض عطري  
الرائحة الواحدة نسرينة

إذا اجتمعَتْ في مجلسِ الشربِ هذه  
فلذَّاتُهُ تزهو على المَنِّ والسلوى

وقال السيد عبد الله بن عقيل :

منك النباتُ ومني النارُ أُضرمها  
والماءُ مني ومنك الشايُ واللَّبَنُ  
كذا اوانيهِ يا هذا تحضَّرها

والغسلُ مني إذا ما مسَّها الدَّرَنُ<sup>(١)</sup>  
والصَّبُّ منك ومني الشُّربُ اجمعهُ

والشكرُ مني إذا أوليتَ يا فطنُ  
مني القبولُ لما يسخو باخضره

لكنَّ أسودَهُ عندي هوَ الحسنُ  
ما أحسنَ الشايَ إذا فاحتْ لوزته

كذاك نعناعهُ والعنبرُ الثَّدنُ<sup>(٢)</sup>  
باهتْ به الشايَ أقوامٌ له شربُوا

منهُ وقد طربُوا ما مسَّهمُ حزنُ

---

(١) الدون الوسخ وزناً ومعنى .

(٢) عنبر لدن أي لين .

فيه الفوائد من تهضم ماكلنا  
 كذاك قلب شجي ناله وسن  
 وهذه الابيات على نمط أبيات العصيدة وهي :  
 إن شئت مني عصيداً مالها مثل  
 لها شروط بها قد يحسن العمل  
 منك الدقيق ومني النار أضرمها  
 والماء مني ومنك السمن والعسل  
 والغرف منك ومني الأكل أجمعه  
 والشكر مني لما أوليت يا فطن  
 فذني فكاكة ذي ودّ وذني طمع  
 كأشعب قاده الافلاس والأمل  
 وقال الشيخ أحمد بن أمين بيت المال المكّي :  
 إذا زارَ من تهواه يوماً مودةً  
 وقد ايقنت بالودّ منك نفوسه  
 فإن رمت أن تحظى بلطف حديثه  
 وبادرت بالشاهي يطول جلوسه  
 وإن تسقه الشربات يا صاح إنه  
 يقوم إذا دارت عليه كؤوسه

ولبعض أدباء أهل جدة :

إذا مَنْ شاهُ الحسنِ يوماً بزورةٍ

ورمتَ امتداد المبحثِ قدّم له الشاهي

ولا تسقه الشرباتِ من خوف أنه

يقوم فنبقى حائزين بلا شاه<sup>(١)</sup>

وقال الشيخ علي بن عبدالله الطيب المدني

إن كان عندكمو شاي<sup>٢</sup> فاجودوا لنا

من قيص فضلكم منه بفنجان

فإن يكن أخضراً طاب الفؤادُ به

وإن يكن أحمرأ فاللونُ أغواني

فانكم خير ساداتِ كرامِ أب

وعمّ احسانكم للقاصي والداني

وله يخاطب أحد أصدقائه واسمه جمال

أدر كأس التصابي منك ورداً

ودم في خير غزّ مع كمال

فشاي<sup>٣</sup> منك وسمّ ثم وصف<sup>٤</sup>

جمال<sup>٥</sup> في جمال<sup>٦</sup> في جمال<sup>٧</sup>

---

(١) الشاه بلغة العجم يعني السلطان .

وقال الشيخ محمد الغزال من علماء دمنهور البحيرة بمصر

نصابُ الشاي يُعقد من ثلاثٍ  
فعولُ يا أخا العليّا عليه  
ومنه اشربُ ثلاثاً في ثلاثٍ  
فان الوترَ مندوبٌ إليه

وقال بعضهم :

نصابُ الشاي فنجانٍ لكن  
بشهرِ الصّوم ليس له نصابُ

ولبعضهم :

مجالسُ الأُنسِ مهمّا كان مبلّغها  
من لزور فلن تغني عن الناي<sup>(١)</sup>  
كذلك كلُّ فتىٍ تعنه صحتهُ  
فانا في احتياجاتٍ إلى الشاي

ولبعضهم :

إذا ما أقمتَ الشايَ ناملاً لنا كأساً  
فاني يملئ الكأس لستُ أرى بأساً

---

(١) الناي آلة من آلات الفناء .

ومستندي « كأساً دهاقاً<sup>(١)</sup> » فإنه  
أتى في صحيح الذِّكر فاقراً ولا تنسى  
ولبعضهم :

بدًا كالتَّبرِ مِنْ خَلْفِ الزَّجَّاجِ  
مُحَلَّى الرَّأْسِ مِنْ حَبَبِ بَتَّاجِ  
له رِيحٌ مِنَ النِّعْنَاعِ تَشْفِي  
بِهِبَّتِهَا الْمَرِيضَ بِلَا عِلَاجِ

وقال جامع هذه الرسالة غفر الله تعالى له :  
هذه أَكْوَابُ شَايٍ رُصِّعَتْ  
فَبَدَتْ تَبْهَجُ عَيْنَ النَّاطِرِينَ  
فَتَلْقَفُ كُوبَةً حَمْرَاءَ أَوْ

إِنْ تَشَأْ خَضْرَاءَ تَغْرِى الشَّارِبِينَ  
تَنْعَشُ النَّفْسَ وَتَنْفَى هَمَّهَا  
تَجْلِبُ الْأَنْسَ لِكُلِّ السَّامِرِينَ  
طِيبُ الْعَرَفِ شَهِيٍّ الْمُحْتَسَى  
رَائِقُ اللَّوْنِ حَلَالُ مُسْتَبِينَ

---

(١) كأس دهاق اي ممتلئة .

كلما رمتَ اكتفاءً قال زدُ  
شربةً أخرى وخذها باليمين

وقال أيضاً :

إذا دعوتَ كراماً بقرْبهم مُتباهي  
تريدُ نفي همومٍ عنهم بشتى الملاهي  
فقدِ منَّ طعاماً وأتبعنه بشاهي  
وأبرزنَّ سَمَوَاراً كالخُودِ أوِ مثلِ شاهِ  
ضعِ الفناجينَ<sup>(١)</sup> تحكي نجمَ السما في المياهِ  
ثم اسقيهم بسرورٍ وخفةٍ وانتباهِ  
ونادمِ القومَ حقاً ولا تقلُ أنا ساهي

وقال أيضاً

ألا فاسْئِني فَنجانَ شايٍ بِعَنْبرِ  
يَفُوحُ شَذاهُ كالْعُروسِ المَطرِ  
مُمتِّقةً متقونةً<sup>(٢)</sup> الصَّنِيعِ صَافِياً  
وأحلى مذاقاً مِنْ عَقَارِ نَحْرِ

---

(١) الفناجين هي اكواب الشاي .

(٢) وضعت ثاء التأنيث في الكلمتين لوزن البيت .

فَالطَّفُ كُوبِ الشَّاي مَا كَانَ رَائِقًا  
وَمَا كَانَ شَفَافَ الزَّجَاجِ مَبْلُورِ  
فَلَا تَتْرِكِ الشَّاي اللَّذِيذَ لِعَاذِلِ  
خُصُوصًا بِرُوضِ زَانِهٍ نَهْرُ جَعْفَرِ  
وَقَالَ أَيْضًا :

يَقُولُونَ إِنْ الشَّايَ فِيهِ مَضَرَةٌ  
لَقَدْ أَخْطَأُوا فَاشْرَبْ هَنِيئًا وَبَسْمِلِ  
إِذَا كُنْتَ كَسَلَانًا وَلَمْ تَكُنْ نَاشِطًا  
وَكُنْتَ ضَجِيعًا لِلْهُمُومِ الْمُثْقَلِ  
فَبَادِرْ بِشَرْبِ الشَّاي مِنْ بَعْدِ أَكْلَةٍ  
تَكُونُ إِذْنٌ فِي صَحَّةٍ مُتَعَجِّلِ  
وَلَا تُشْرِبِ الشَّاي إِذَا كُنْتَ جَائِعًا  
وَبَطْنُكَ خَاوٍ مِنْ طَعَامٍ مُتَبَلِّ

وَقَالَ أَيْضًا :  
وَسَوْدَاءَ قَبْلِ الطَّبَخِ حَمَاءَ بَعْدِهِ  
بَدَتْ بَيْنَ أَحْيَابِ كِرَامِ نَجَائِبِ



وأعني بها الشايَ المباحَ شرابهُ  
 فشرُّبك يَنفي عَنكَ همَّ النوائِبِ  
 ثلاثةُ أقداحٍ وإن شئتَ رابعاً  
 فهذا نِصابُ الشاي عندَ المذاهبِ

وقال ايضاً :

هذا السِّمَّوَارُ<sup>(١)</sup> بيهجته كالظِّي النَّاتِنِ أغيدهُ  
 يَبْدُو كقَضِيبِ البانِ لَهُ قَدٌّ وَالخَدُّ مَوْرَدُهُ  
 وَضِيَاءُ الجِبْهَةِ أَمْلَسُهُ مَرْفُوعُ الطَّرْفِ مُسَدَّدُهُ  
 فِي مَنَظَرِهِ وَلَطَافَتِهِ وَنَظَافَتِهِ قَدُّ تَحْسِيدِهِ  
 نَارُهُ وَالْمَاءُ بِبَاطِنِهِ مَا أَحْكَمُهُ مَا أَصْلَدُهُ  
 فَأَعْجَبُ مِنْ ضَدِّينِ اجْتَمَعَا فِي الْجُوفِ وَذَا مَا تَشْهَدُهُ  
 فَالْمَاءُ يَزْجِرُ زَمْجَرَةً مِنْهَا يَتَزَلُّزَلُ مَقْعَدُهُ  
 فَإِذَا مَا اشْتَدَّ حَرَارَتُهُ يَتَمَيَّزُ غَيْظاً مَوْقِدُهُ  
 لَا يَهْدَأُ ثَائِرُهُ حَتَّى مِنْ مَاءِ الْعُزْنِ تَبَرِّدُهُ

---

(١) السِّمَّوَارُ آلةٌ لغلي الماء المعد للشاي وهو يصنع من معادن مختلفة في أشكال متنوعة وقد يبلغ ثمنه من نصف ريال إلى خمس جنيهات فأكثر.

وقال ايضاً :

طابَ شَرْبُ الشاي فاشربه عَسَى  
أَنْ يَزُولَ الهمَّ صباحاً او مساءً  
إنما الشاي شَرابٌ طيبٌ  
رَشَقَةٌ منه تزيلُ الهوسا  
طعمه حلوٌ ومُسْكٌ عَرفه  
وعَقيقُ لونه ما انطمسا  
وهو مشروبٌ حلالٌ سائغٌ  
مُهْضَمٌ لا تَحْشَ منه اليَبَسا  
مُنْعَشٌ لِلنَّفْسِ وَنافٍ لِلْعَنّا  
جَالِبٌ لِلْبَسَطِ فاشربه عَسَى  
فَإِذَا جَاءَكَ ضَيْفٌ طَارِقٌ  
قَدِّمِ الشايَ فَنعمَ المحتسَى  
فَكؤُوسُ الشايِ ان دارتِ على  
مَجْلِسٍ زَادَ صَفَاءُ الْجَلَسَا  
أَجْعَ النَّاسَ عَلَى إِدْمَانِهِ  
فَاتَّخِذْ مِنْهُ سِرَاجاً قَبَسَا

نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى تَبْسِيرِهِ

لجميع الخلق حتى البؤسا

فاترك التلائم في بيداؤه

ربما ان ذاق منه فطسا

وقال ايضاً :

اذا ما مجلسٌ يزهو يجمعُ      منَ الاصحاب والخلّ الوفيّ  
وكانوا في سُرور وانبساطٍ      سواء غُدوةً او بالعشيّ  
فمدّ لهمُ خِواناً فيه مالمُ      يذوقوه منَ الأكل الهنيّ  
وعطّـرهم جميعاً عطرَ وردٍ      وبخّـرهم بذِي عَرَفٍ شذيّ  
وقدّم ساقياً شهماً نبيلاً      أديباً كاملاً لا بالغبيّ  
اليه كاملَ الادواتِ تعطى      منَ البرّاد والجام الصيّيّ  
فتعطيه فتاجيناً لطافاً      منَ البلّور في طقمٍ بهيّ  
كذا السّموّار تُبرّزه اليهمُ      ليزهو باعتدالٍ سمهريّ  
له شكلٌ بديعُ الصنّع حقاً      رفيعُ القدرِ في عرشٍ عليّ  
فتطرحُ جوفهُ ماءً وناراً      ليغلي الماءُ بالغلي القويّ  
وفي البرّاد ترمي شايَ أسودُ      وفي الثاني باخضرَ مغربيّ

فإن شاءوا يُضَيِّفُوا بَرْدَ قَوْشٍ<sup>(١)</sup> وإن شاءوا بنعناع طريّ  
وبعضُ الناسِ يَطلبه مزيجاً مع اللبن الحليبِ الكابليّ<sup>(٢)</sup>  
يُحَلِّيه يَغطِّيه بِجَوْجٍ جميلٍ أو حَرِيرٍ زُخْرَفِيٍّ  
يَصُبُّ الشايَ في الفَنجَانِ صَبًّا رقيقاً بالنظافةِ والرَّويِ  
يكرّرُ سَقِيَهُمْ حتّى ثلاثٍ فإنّ طلبوا يَزيدُ بأربعيٍّ  
فهذا مجلسٌ قد فاقَ لُطفاً على كلِّ المَجالِسِ يا صفيّ

( وقال حمدون بن الحاج )

إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَرْتاحَ لِلراحِ  
وَأَدْفَعْ مُدِيرَ كُؤُسِ الرّاحِ بِالراحِ  
وَمِلْ إِلَى شَرَبِ أَتَائِي تَرُوقُ بِهِ<sup>(٣)</sup>  
فليس يعقبه شرب باتراحِ  
فيها الأمانِي وشملُ الأنسِ مجتمِع  
على أمانٍ ولا آمانَ في الرّاحِ

---

(١) البرد قوش هو نبت عطري الرائحة يسمى عند اهل الحجاز - بالدوش .

(٢) الشاي الكابلي لا يستعمل الا في الحجاز ونادراً وصفته أن يؤتى  
باللبن الحليب فيغلى على النار غلياً قوياً ويوضع فيه الشاي الاسود او  
الاخضر او كلاهما وبعد ان يطبخ جيداً يشرب .

(٣) أهل شنقيط يسمون الشاي أَتَائِي .

وقال المرحوم الشيخ محمد العاقب الشنقيطي في الأتاي يعني الشاي وهو أخو أستاذنا العلامة المحدث الكبير الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي المدرس بكلية أصول الدين بمصر سابقاً رحمه الله تعالى .

أَتَايَا أَتَايَ لَا بِسَاءِ ثَوْبٍ شَبَهَ  
تَنَازَعَهُ فِيهَا الْإِبَاحَةُ وَالْحَظَرُ  
فَطَوْرًا لَهُ شَبَهَ الْعَسُولِ وَتَارَةً  
يُرِيكَ بِكِبْرِيَاءِهِ أَنَّهُ الْحَمْرُ  
هُوَ الْحَمْرُ إِلَّا إِنْ فِيهِ مَنَافِعًا  
وَلَيْسَ بِهِ أَثَمٌ قَلِيلٌ وَلَا سُكْرُ

وقال أيضاً :

أَتَايَ هُوَ الشَّرْبُ الْحَلَالُ ارْتِشَافُهُ  
وَحَاشَاهُ مِنْ أَنْ يُسْتَدْمَ وَيُتَمْنَعَ  
مَنَاقِبُهُ تَنْبِيْكَ فَاسْتَفْتِ شَرِبَهُ<sup>(١)</sup>  
وَلَا سَيِّئًا مَا كَانَ مِنْهُ مُنْعَنَاعًا

---

(١) الشرب بالفتح جمع شارب كصعب وصاحب .

وقال الشيخ ابراهيم بن الشيخ الشنقيطي  
سقانا مَنْ له الاجال مال كؤوساً لا تُمَلَّ ولا تُمال  
يُنال به الرضا ويُنال وداً وذانِ هما حقيقة ما يُنال  
ويُنْفَق ما يحب لنيل برٍّ لقد قال المهيمن «لنُ تَنالوا»

وقال بابا بن الشيخ الشنقيطي  
يقيمُ لنا مولاي والليلُ مقمرُ  
وأضواءُ مصباحِ الزجاجةِ تزهَرُ  
وقد سَنَحَتْ ريحُ الشمالِ على الربى  
نسيماً بأذيالِ الدجى يتأثرُ  
كؤوساً من الشاي الرفيع شهيةً  
يَطيبُ بها ليلُ التام فيقصرُ  
تخير من تجار طنجة شاها  
وخير لها من ثلج وهران سكرُ  
قواريرُها والشاي فيها يزيناها  
وقد زينته جوهرُ فيه جوهرُ  
ولا غروَ ان طابت صنائعُ ماجد  
شريف فماء العود من حيث تعصر

وقال عمر افندي الآنسي البيروتي :

أدم 'شرب' الأثاي فان فيها	منافع ليس توجد في سواها
مآثر تمنح السفهاء حلا	وأرباب العلوم 'علا' وجأها
إذا 'جليت' مآثرها تجلّت	على جلساء 'حضرته' سناها
فلا لغو ولا تأثيم فيها	ولا ما يسلب العقل 'نُهاها
ولا ما يلحق الإنسان جهلا	براتعة البهائم في كفلاها
ينال بها السليم نشاط جسم	كما نالت بها المرضى شفاها
ويعبق طيبها فيم مسكا	فينعش روح شاربها شذاها
سقى صوب الغمام بها ربوعا	تحيات الحباب من سناها
يرثها الصبّ المعتل يروي	لنا خبراً صحيحاً عن سناها
نبات فاخر يا فخر ارض	منه عليه تحسده سماها
إذا لم يوجد الابريز فيها	فإن نباتها أحلا حلاها

وقال محمد افندي جاد الله

أينكر' إكسير ويودی به النكر'

وفي الشاي آيات' يحار' بها الفكر'

تأمل' تجد' ما قيل فيه بعينه

بها بينا كالشمس يظهرها الظهر'

على أنها امتازت بأشياء جمة  
فحق لها دوماً عليه بها الفخر  
تفيدك أيام الشتاء حرارة  
وفي الصيف ترطيباً اذا مستك الحر  
بها تكتسي الكاسات أبهى حلة  
علاها حجاب دونها الأنجم الزهر  
كذائب ياقوت بدر مرصع  
وما ذائبا من قبلها رضع الدر  
تروخ أرواحاً روائح نشرها  
فكم من موم قد طوى ذلك النشر  
بنظرها الزاهي تقر نواظر  
وَمِنْ نورها الوضاح ينشرح الصدر  
إذا دارت الكاسات في مجلس ترى  
كأن نفوس الناس من شوقها طير  
حقائقه جلت عن الوصف عادة  
تفرّد في إدراك آلائها السر  
فاكرم بها حازت محاسن بعضها  
يضيق لدى ايضاحه النظم والنثر



فلا تتركنها بُكرةً أو عشيّةً  
ففي نفعها ما لا يحيطُ به الحصرُ  
ولبعضهم

لا أشربُ الشايَ إلا من يدي رَشاً  
تحكيه وجنته والطعم من فيه  
أصبرُ النفسَ إن طاقتُ لوجنته  
بجمرةِ الكأسِ خوفاً من مآقيه

وقال الشيخ سليمان الحوت  
دعوا شربكم للخمر فالخمرُ مسكرٌ  
وفي الشرع كلُّ المسكرات حرامٌ  
وهيئوا بشربٍ للأتاي فانه  
حلالٌ وليس في الحلال ملام  
وكونوا عليه مدمنين لأنه  
شفا النفس فيه إن عراها سقام  
يثير نشاطاً يبسط الكف بالندی  
فمن ثم كل الشاربين كرام  
ويكشف غم النفس سرّاً وجهرة  
ويوقظ جفن العين حين تمام

ويفتح باب الشهوتين وخير ما اش  
تمته الطباع بآء وطعام  
وفي الوجه يكسو حمرة ونعومة  
كأن بها ورداً سقاه غمام  
إلى أن قال :

وآدابه شتى ويزداد حسنه  
إذا راق ندمان، ورقى له جام  
هي النعمة الكبرى على كل شارب  
وإكسیره لا قهوة ومدام  
ومذهبنا ان لا يشاب بغيره  
سوى العنبر الطري فيه ختام  
وقال أبو مدين ( ولم نقف على لقبه )  
ألا فاسقني كاسات شاي ولا تذر

بساحتنا من لا يعين على السمر  
فوقت شراب الشاي وقت مسرة  
يزال به عن قلب شارب الكدر  
تخير حسان السميت عند شرابه  
فللعين حظ لا يزال من النظر

وخلل شراب الشاي بالذكر واستعن  
 به في الليالي الناضرات على السهر  
 ونادم خيار الصالحين فمجلس  
 به صالح يقضى به غالب الوطر  
 تجنّب سوى من قد ذكرت وإن غدا  
 يرى الفضل فيما عند مجلسه استقر  
 ترى مجلس الشايات في العين واحداً  
 فيختلف المعنى وتتحد الصور  
 ولا بد من إنشادك الشعر عنده  
 ليطرب منك القلب والسمع والبصر  
 وقدم من الاشعار مارق لفظه  
 وما راق معنى أن ذلك معتبر  
 وانعش فؤاداً بالنسيب وذكره  
 وما للمها من حسن جيد ومن حور  
 ولا تنس ذكر البان والرمل والحمى  
 وما هب من ارواح نجد لدى السحر  
 وجدلي من شعر الوقائع بينهم  
 ومن غاب من عشاقهن ومن حضر

وما قيل في مدح الملوك وفخرهم  
ومن عز قدماً من ربعة أو مضر

وما قيل في مدح البلاد وأهلها  
وما قيل في مدح المقام وفي السفر

إذا تم هذا عند شرب فإنه  
لعمرك شرب ما يجلسه عور

لامثاله فلتدع ما شئت وادعني  
والا فدعني عنك واستعمل الحذر

فما كل شرب لاح يستفزني  
ألارب شرب كان لي فيه من ضرر

ولكنني أعصى وأصبر علي  
أفوز بأجر قد أعد لمن صبر

وقال احد الأدباء :

من الشاي المعبر هات كاساً      بروض فله تبهجنا الزهور  
على بسط الزبرجد إذ جلسنا      وفي الأغصان تطربنا الطيور  
وامواه حصاها لامعات      ملونة يقلبها الخريز  
يجمع أحبة وطريف عيش      وكاسات تدور بها البدور  
فيحكى لونها الذهب المصفى      وفاح بنشرها المسك "عبير

وأصوات الكؤوس لها رنين كرنات المثاني إذ تدور  
لها رقص لطيف حين تبدو إلى جمع الرفاق وتستنير  
فلا تبرح إذا مزجت بلهو مباح لا يفارقه السرور  
بلطف هاتها يا صاح دوماً بلا حد إذا وجد السмир  
وقال الأستاذ أحمد صافي النجفي في وصف الشاي في  
مكتابه الأمواج .

لئن كنت غيري بالمدامة مولعاً  
فقد ولعت نفسي بشاي معنبر  
إذا صب في كأس الزجاج حسبته  
مذاب عقيق صب في كأس جوهر  
به أحتسي شهداً وراحاً وسكراً  
وأنشق منه عبق مسك معنبر  
يغيب شعور المرء في أكؤس الطلا  
ويصحو بكأس الشاي عقل المفكر  
يعيد سرور المرء من غير نشوة  
فأحبب به من منعش غير مسكر  
خلا من صداد أو نزيف كأنه  
سلافة أهل الخلد أو ماء كوثر

فمنه اصطباحي واغتباقي ولذتي  
 ومنه شفائي من عناء مكرر  
 كأني إذا ما أسفر الصبح ميت  
 وإن أرتشف كأساً من الشاي أحشر  
 فله أرض الصين إذ أنبت لنا  
 ألد نبات بالمسرة مثمر  
 لو ان ابن هاني فاز منه بجرعة  
 لراح بأقداح ابنة الكرم يزدرى  
 ولو ذاقه الأعشى وحكم في الطلا  
 وفيه لقال الفضل للمتأخر  
 فللم أحلى مشرب من مذاقه  
 وللعين من مرآه أجمل منظر  
 عجبت له يكوي اللسان حرارة  
 ويطفئ نيران الجوى المستعر  
 لقد نال من طبع الحياة حرارة  
 فإن يسر في ميت من الناس ينشر  
 إذا فار ما بين الساور مأؤه  
 سمعت له أنغام ناي ومزهر

فاشرب مرثاحاً على نغماته  
 كؤوساً وما يغلى له غير سكر  
 كأن به صباً ينوح وقد ذكى  
 لهيب الهوى منه بقلب مسعر  
 فيسكت إن تخمد به نار حبه  
 وإن تذك فيه لوعة الشوق يزفر  
 وإن بلغت نار الهوى فيه حداً  
 بكى لوعة في دمه المتحدر  
 كأن به بركان ( فيزوف ) ثاقب  
 فإن نار يقذف بالشرار ويمطر  
 كأن به نار الغرام تمثلت  
 لدى العين يخشى قربها كل مبصر  
 تمد بأفلاذ الزنوج إذا خبت  
 فتحكي جحيم النار في يوم محشر  
 فثم تحال الفحم أفلاذ مهجة  
 من الليل تلقى في نهار منور  
 فإن ضاق صدرأ عن تأجج شوقه  
 تأوه في أنفاس ماء مبخر

لئن يملك يوماً جناحاً يطير به  
إلى حيث من هوى وبالوصل يظفر  
كأن كؤوس الشاي صنع نواسك  
تحيط بمعبود من التبر أصفى  
وتفتح فاهاً بالدعا فيجوزها  
بذور لجين أو بدرٍ منظر  
وأحسبها حول السماور تارة  
بنات مجوس قد أحطن بمجر  
وتحكي لنا ما بين بيض صحنها  
تمثيل در في معابد مرمز  
وأبريقه فوق السماور مرتب  
كمثل خطيب جالس فوق منبر  
يفوه ولكن في عقيق معطر  
وينطق لكن من كلام مصور  
سماوره يبدو كشيخ معمم  
من الصين يزهو في رداء معصر  
إذا ساق هم الدهر نحوي جيوشه  
ألاقيه من أقذاح شاي بعسكر



فقد أحتسى جاما وأرشف ثانياً  
يفر الأسى عني يجيش مبعثر  
فأشرب كأس النصر جذلان ناعماً  
وأزهو وقد أدركت عز المظفر  
كأني بكاسات لنصري أسرعت  
ومن ينتصر في أكؤس الشاي ينصر  
دع الراح والأفيون واشرب عصيره  
مداماً ولا تشرب مدامة حيدر .

وقال الشيخ محمد المبارك الجزائري الدمشقي  
قهوة الشاي وهي ألطف قهوة  
لم تدع لي في قهوة البن شهوة  
أبسوداء يعدل الشاي وهو الـ  
شاه كلا لتلك أعظم هفوه  
لو درى الناس ماله من مزايا  
ما خطوا نحوها لعمر كخطوه  
ما ابنة البن في الحقيقة إلا  
من جواريه صادقت حسن حظوه

وحيوت دولة لدى كل حبر  
 ماجدٍ كان في المكارم قدوه  
 لكن الشاي بغية القوم إذ ما  
 عقدوا في مرابع البسط حبوه  
 أو دعاهم داعي الهناء إلى مو  
 رد صفو في روضةٍ فوق ربوه  
 فهو أبهى لوناً وأشهى مذاقاً  
 وهو أزكى نشرأ وأعظم نشوه  
 طاب بالسُّكر اللذيد شراباً  
 فادريت أقداحه وهي حلوه  
 ونما فضله بحسن قبول  
 في قلوب لها مع الله جلوه  
 راحة تنعش النفوس ارتياحاً  
 فلها هزة إليه وصبوه  
 يشرح الصدر بهجة وسروراً  
 لذة السكر لا تعادل صحوه  
 كم أراق الصهباء من كان يهوى  
 شربها عندما احتسى منه حسوه

فأدر صاح منه كأساً دهاقاً  
ليس لي عنه يا بن ودي سلوه  
وارتشفه على بساط نشاط  
منشداً من أشعار قيس وعروه  
وانتهز فرصة من الدهر واصحب  
صفوة قد جلت من العيش صفوه  
راقها الشاي حيث راق صفاء  
وهزار الأفراح ردد شدوه  
فاجتلتة على رخيم المثاني  
في رياض أبدى بها الزهر زهوه  
منه نوع زبرجدي اذا ما  
لاح في الكاس شمت ماء وجذوه  
ثم مغنٍ عن عنبرٍ وعبيرٍ  
بشذاه دعا الوري خير دعوه  
وحبا الصب واردات التهاني  
من حبيب رثا له بعد جفوه  
ذاك أعلا أنواعه عند قومٍ  
ما نبتهم عن خلوة الود جلوه

ذاك أسنى الأسباب في جمع شملٍ  
 الأنس يا ذا الوفا وأوثق عروه  
 ذاك عين الأكسير معنى يعيد الـ  
 قبض بسطاً والذل عزاً وسطوه  
 درهمٌ منه رَدٌّ قنطارهمْ  
 فرحاً قد جلا عن القلب شجوه  
 فتعاطاه كل حر رقيق  
 كان للناس فيه أحسن أسوه  
 يتجلى في الكأس شبه نضار  
 في لجين يولي الفتى أي ثروه  
 أو كشمس قد أشرقت في بدور  
 قد تجلت منه دجا كل غفوه  
 يا له من زمرد عاد تبرأ  
 فاكسى الناس منه أحسن كسوه  
 كلته فرائد من جمات  
 ربما خالها أخو المجد رغو  
 كم له في الورى منافع لكن  
 لم يشنها إثم مشوب بقوه

يبهج النفس يكثر الأنس حالاً  
يورث الهضم يطرد الهم عنوه  
ولذا قيل منية النفس فيه  
ينبغي شربه مساءً وغدوه

ولبعضهم باللغة العامية :

السُّكَّرُ والشاي والنعناعُ مَا خَلَّى فِي الرَّاسِ أَوْجَاعُ  
والسكرُ والشاي والزيتُ هَوَالِي عِنْدَنَا فِي الْبَيْتِ

ولبعضهم باللغة العامية أيضاً :

شَرِبُ الشاي مَا فِي سَكِّ لَيْسَ فِيهِ مِنْهُ مَفْكُ  
رُشْدِي جَا عِنْدَكَ يَنْدَكَ عِبَاتُو فِي الْعُرْقُوبِ إِتَحَكَ  
يَحْكِي عِنْدَكَ هَكَ وَهَكَ إِنْتَ وَهُوَ دَقَّ حَنَكَ

ولبعضهم باللغة العامية المغربية :

اشربْ مِنْ شَاهِي بِنُونَه<sup>(١)</sup> سَمَحُ عُيُونَه  
أَحْمَرُ وَأَخْضَرُ فِي لُونَه تَدْرُسُ قَنُونَه

---

(١) بنونه اسم رجل من تجار الشاي بمصر .

إِشْرَبْ مِنْ شَاهِيْثُو وَقِيْلْ دَمْعِيْ ثُمَّ عَلَيْهِ سِيْلٌ  
مَا هُوَ عَيْلٌ . بُو شَارِبٌ مَّنْقُوشٌ مُنِيْلٌ

إِشْرَبْ مِنْ شَايٍ مُتَكَيِّفٌ إِنْ كُنْتَ مُشْتِيٍّ وَمُصِيْفٌ  
عَبَادِي مِنْ عِنْدِ شَرِيْفٍ<sup>(١)</sup> دَمٌ السَّاقِي عَلَيَّ خَفِيْفٌ

\*\*\*

شَارِبٌ مِنْ شَاهِيْثُو وَطَارِبٌ فَرَحَانٌ زِيَّ الْعَبْدِ الْهَارِبِ  
وَالسَّكْرِ أَبِيضٌ كَالشَّايِبِ فِي الْفَنجَانِ الصَّافِي رَاسِ  
فَنجَانٍ أَحْمَرُ فَنجَانٌ أَخْضَرُ مَرْصُوصٌ فِي تَبَسِيٍّ الْكَاتِرِ  
وَالْبَرَادِ الصِّيْنِي دَافِي وَالْعَنْبَرِ فِي بَطْنُو دَائِرِ

\*\*\*

وَقَالَ السَّيِّدُ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَامِدُ الْعُلُوِّي صَاحِبُ كِتَابِ  
نَسَمَاتِ الرَّبِيعِ :

رُوقٌ لَهَا مَاءُ الْغَمَامِ وَهَاتَهَا  
لِي وَالْحَبَابُ يَدُورُ فِي جَنْبَاتِهَا

---

(١) أي ان عبادي اشترى الشاي من شريف .

صهبا ما عبثت بها يد عاصر  
ما عاشرت الا اكف سقاتها  
من جيد الشاي استحال عصيرها  
كادت تحاكي الشهب في جاماتها  
قد راق منظرها ورق زجاجها  
فلعله لم يدهقوا كاساتها  
لولا انتصاف الكأس خلت بأنها  
في كف ساقبها تقوم بذاتها  
وإذا الهموم على النديم تكاثفت  
وبدت أشعتها جات ظلماتها  
ففيها غنيتُ عن التي سلب النهى  
من شأنها والاثم من تبعاتها

\* \* \*

يا ساعة مرت كلمحة بارق  
ذاقت بها نفسي نعيم حياتها  
عاطيت فيها الكاس خوداً كاعباً  
ماء الشباب يحول في وجناتها

فتأيل الأغصان في اعطافها  
 وشمائل الصبء في لحظاتها  
 جاءت اليّ وخدها متورد  
 جزعاً لحوف رقيبها ووشاتها  
 قلت اسقني وأمدني حتى إذا  
 سكبت بلغنا في المنى غاياتها  
 طوراً تنازعني الحديث وتنثني  
 طوراً عليّ بعينها وشكاتها  
 فأجبت معتذراً لها وأودّ لو  
 إني بذلت الروح في مرضاتها  
 أوتيت ذاك اليوم لذاقي ولـ  
 كني كفت النفس عن حرمانها  
 الله يعلم ما هممت بريبة  
 ولتذهب الغوغاء في تهامتها  
 لا يحفل العفّ الكريم بقول من  
 نسبوا إليه فرية لم يأتها



ولبعضهم :

إشرب من الشاي الشهي فإنه  
شرب الكرام وتحفة الجلاس  
لا سيما إن بالحبليب مزجته  
عند الصباح فشوة الأنفاس  
والأخضر الموصوف إحذر تركه  
فوق الطعام فليس ذا من باس

\* \* \*

ولبعض شعراء الأحساء في الشاي وساقيه وهورقيق المعنى .  
قاله حين زيارته لبعض أصدقائه بمكة المكرمة عام  
١٣٥٧ هـ . في وقت الأصيل وقد مالت الشمس للغروب فصنعوا  
له شاي وعند تقديم الفنجان اليه طلبوا منه أن يصف لهم الكاس  
فقال إرتجالاً :

رُبَّ ساقٍ ماهرٍ في صَنعتهُ      قَرِبتُ آلتهُ مِنْ غَرَّتْهُ  
عَرَضَ الشاهي بوقتِ شمسهِ      وهب الشاهي لها من حمرتهُ  
قال صف لي كاسناً في صحنه      قلت هذا قمر في هالتهُ

وقال بعض الفضلاء :

وفنجانٍ يُباع بملكٍ كسرى      لذيذِ الطعم والنعناعِ فيه  
علقتُ بهِ وحيي فيه يربو      لشبهِ الطعمِ فيه طعمَ فيه

\* \* \*

ولبعضهم :

أخذتُ زجاجةً من كفِّ شاهٍ  
فريدٍ في الآنام بلا اشتباهٍ  
وحين رشفتُ منه الراح صرفاً  
قعدت للثم ذاك الثغر ساهي  
ولما أن سكرتُ وقلتُ يا ذا  
أتبرُّ أم يواقيتُ الشفاهِ  
فديتك يا مديراً الراح قل لي  
أخبرُ ما أدرتَ فقال شاهي

وقال الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر الأحسائي :

اجتث من عاب ثغراً      به الجمال تلالاً  
مستقلن فاعلاتن      سبحان ربي تعالى

يا ساقى الشاي يا من	كساه ربي جالا
إنا رأيناك بدرأ	لذاك فقت الهلال
حاز الهلال انمحاقاً	وأنت حزت الكمالا
هات أسقني الشاي صرفاً	وعاطنيه وصالا
ففي ثلاث زجاج	شفاي ان تتوالى
وإن تزدني فخمس	والسبع تزكي الخيالا
وإن تزدني فهمي	إن زدتنى منه زالا
فلا تخيب رجائي	ولا تجبني بلالا
ففيك أحسنت ظني	وفيك صغت المثالا

وقال بعضهم في مجلس شاي :

ومجلس لذة أمسى دجاء	يفيء كأنه صبح وخير
تجمع فيه مشموم وشاي	وأوتار وولدان وحوار
تلذذه الحواس الخمس فيه	بخمس يستتم بها السرور
فكان الضم قسم اللبس منه	وقسم الذوق كاسات تدور
ولسمع الأغاني ، والغواني	لأعيننا ، وللشم البخور

\* \* \*

وقال بعض الفضلاء :

صفا الشرب أطيب للنفوس وأليق بالمقيم وبالكؤوس  
وأطيب ما يزيد الكاس طيباً موافقة الجليس مع الجليس

وقال ابن أحمد بور الشنقيطي :

بادر الى الكاس واشربها بأنفاس  
وخذ من الشاي بين الكاس والكاس  
والكيس اختر هو من دون غير هو  
فلن تطيب كؤوس دون اكياس

\* \* \*

وقال غيره :

ننعم الكاس إن أردت سقائنا لا خير في كأس بلا نعناع  
وإذا أردت قرابتي ومودتي زدني على تثليثها برباع

وقال بعض أدباء الشناقطة :

أتأي في شأن الفتى النبهِ  
إن كان يكرم مثوى مَنْ أَلَمَّ بِهِ

ولا يَضِنُّ به إن كان ذا سعةٍ

ولا يفرقه كلُّه من أبه

والمبغضون له والمولعون به

كلاهما حائد عن منهج الشبه

وقال محمد المختار بن الفقيه يحيى الشنقيطي المتوفي

سنة ١٣٥٤ هـ .

إذا جاءت الشبهاء <sup>(١)</sup> لاغبها الويل

على غارب المفتول يلقي لها الجبل

وإن جىء بالمفتول من قبل غلة

مساكنكم قيل ادخلوا أيها النمل

---

(١) في بلاد المغرب والشناقطة يسمى الشاي أتاي ولا يوجد عندهم الا

الشاي الأخضر الجيد وهو ثلاثة انواع الشبهاء والمفتول والنمل وهو اردوها

وغالباً يمزجون الشاي بورق النعناع ويتغالون في أدوات الشاي المعدنية

والفضية وكل يقتني منها بحسب مكانته ومقدرته.

وقال قاضي شنقيط بشير بن أحمد بن محمود المتوفي سنة  
١٣٣٠ هـ تقريباً في الشاي

إذا جدت بالدنيا وكل نعيمها  
وروح يحسم بالبقاء ممتع  
كأن لم تجد فيها بوزن بعوضة  
إذا لم تجد فيها بكأس منمنع

\* \* \*

وقال آخر من أهل شنقيط أيضاً :  
شرب الأتاي يفرّ منه الواحدُ  
وإثنان شربهما له قل باردُ  
وثلاثة فيهم تدوم مسرة  
ولذاذة وبشاشة وتواددُ  
وإذا عددهم فكانوا أربعاً  
فأطرد ولو أن الخمس والدُ  
وبمناسبة عدد الأصدقاء في المجالس الخاصة يقول بعضهم :  
خير المجالس خمسة أو ستة أو سبعة وعلى الكثير ثمانية  
فاذا تعدّى صار شغلاً شاغلاً وتكسّرت بين الرجال الآنية

يقال بعضهم ايضاً :

ومن سقى ضيفه الأتاي<sup>(١)</sup> أكرمه  
لم يجد شيئاً وإن جلت فوائده  
بذا جرت عادة الأيام وانسحبت  
والدهر لا بد أن ترعى عوائده

وقال الشيخ العلامة حمدون بن الحاج الفاسي في الشاي:

وصينية تزهو بروض زاهر  
خلع الجمال عليه أحسن خلعة  
برادها ملك تبرز وسطها  
ولذا الكؤوس أمامه قد صفت  
نلت المنى زال العنا ولك الهنا  
يا شارباً كأس الأتاي بدجلة  
ولأبي العباس السيد الطاهر السملالي في مدح الشاي  
إذا الاتاي صب في الكؤوس  
رأيت له سروراً في النفوس

---

(١) الأتاي هو الشاي بلغة أهل شنقيط .

وإن أبدى إلى الندمان حسناً  
رأيت نجوم هم في طموس  
يحمل حسنه الابليم فاختر  
لنفسك جوهرأ عذب النقوس<sup>(١)</sup>

\* \* \*

وقال بعضهم :

باسم الإله الخالق المنان	الواحد الفرد العظيم الشان
سبحان من أخرج للعباد	ما لا نعهده من الايادي
وأنبت الاشجار في البراري	فنفعها بين الانام جاري
فيها شجيرات تسمى شاهي	نافعة للعاشق الاواه
والشاه في تخاطب الاعجام	هو المليك في لسان سام
وفي المجالس له التصور	وكل جهة له يوقر
وقل أن تلقى من يقول لا	أشربه يضربي احتمالا
إلا إذا كان ضعيف العقل	غير ملاحظ دليل النقل
فربما يقوله ثم إذا	شدد قوله لديهم نبذا

---

(١) الابليم العنبر والنقوس جمع نقس وهو الاصل .



أما بيان شربه فاشتهرا له غنى عن البيان للورى  
لكن إذا أردت ذاك فضعن برادك الابيض من صين الزمن  
عمل فويق النار فى الكانون وما يشابهه من الماعون  
ثم إذا فار فخذنه يا فتى ولفه تحت الثياب ساعتا  
ثم اشربنه فى ذوات النور من الفناجين من البلور  
واشرب ثلاثة أو اشرب أربعاً هو المفيد يا فتى فاتبعنا  
ما قلته اقبله بلا التفات إلى كلام الناس فى الجهات  
وإنني بغير خوف وملق اشرب سبعة باسم فالق الفلق

ولبعض فضلاء الشناقطة :

قصيدة فكاهية لطيفة وقد مثل الاتاي ( اي الشاي ) رجلاً  
ومثل الدخان امرأة رغباً أن يتزوجا من بعض فقال عن  
لسان حالهما :

الحمد لله الذي قد أطلعنا بدرّ محبّا المصطفى فطلما  
ثم صلاة الله يتلوها السلام على المكمّل جوامع الكلام  
والآل والصحب الكرام الفضلا المتعاطين أباريق العُلا  
هذا وقصدي نظم ما تيسرا من شأن قصة ترى فى ذا الورى  
نظمتها نظماً بديعاً محكما لست محللاً ولا محرماً

بل إنما نظمته ليتنبه  
 لما ثوت ذات الدخان أزمنة  
 سمع أتاي بها ثم شرع  
 نجب تبارى بينها ثم الذرا  
 خوص العيون جائلات الانسع  
 ولم تزل تخدى به خوص العيون  
 حتى أناخ نجبه ببابها  
 فاستفتح البواب ثم فتحا  
 ودخل الاتاي غير مستفيق  
 ألقى لها زمامه ورسنه  
 فصافحته عندما تلاقيا  
 خطبها من حينه وهي تميل  
 قال الى متى وانتِ مطرقة  
 قال لها ما اسم أبيك يا فتاة  
 قالت له الشيطان والنفس تقول  
 فقد دعت وليها وأسمعت  
 قال لها من ذا الذي تكلم  
 من لم يكن في أمرها بذر  
 ولم تجد كفواً يكون  
 في نيلها تخدى به نجب الدار  
 يرعن بالامشاج من جذب الدار  
 مرتفقات ما بها من الدار  
 ودمعته من شوقها غير مدور  
 فقام قاصداً الى أبوابها  
 بوابها حين الاتاي استند  
 من الهوى وذو الهوى غير مستند  
 من كلف يزداد في كل  
 فضحكا لذاك حتى استند  
 من فرح وما بها عنه  
 قالت له وافق شئنا  
 وماله لغير وجهها التنا  
 بنى أتاها بعلها خير البنا  
 فقام مسرعاً لها حين  
 قالت فتى يشكو الهوى

مُتِيماً مِنْ بَرَحٍ مَا وَجَدَا مِنْ شَوْقِهِ وَالْحَالُ فِيهِ أَنْشَدَا  
وَمِنْ الْجَلَبَاتِ الْحَيَا أَزَاحَا مَعَارِضاً لَهُ حَوَى افْتِضَاحَا  
لَمَعَدَ الشَّيْطَانُ بِنْتَهُ لَمَنْ أَتَاهُو يَشْكُو الْهُوَى مُتِيماً  
رُؤُوجَانِ لِلْسَّحَرِ يَعْلَمَانِ وَإِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ  
لَجَمَعَ الشَّيْطَانُ مَالَ الْفُقَرَا لِذِي الْوَلِيمَةِ لَهُمْ مُحْتَقَرَا  
وَجَمَعَ الْآثَايُ مَالَ الْاَغْنِيَا فَأَصْدَقَ الْخُودَ بِهَا فَاسْتَفْنِيَا  
فُلُودَا مِنْ بَعْدِ يَوْمَيْنِ رَجُلٌ أَعَزَّ مِنْهُ فِي الْبِلَادِ لَمْ يَحِلَّ الْخُ<sup>(١)</sup>

ولنختم ما جاء في الشاي ببعض أبيات جاء في رسالة « تحفة  
الاحباب في ذكر ما طاب من الشراب » للعالم الفاضل الشيخ  
احمد بن أمين الشهير ببית المال المكي رحمه الله تعالى وقد  
لطمها سنة ١٢٨٩ هجرية وطبعها مع نظمه الثاني « تحفة الملوك  
المكية » سنة ١٢٩٠ هجرية ومنظومته الاولى التي في الشاي  
تبلغ نحو مائة وعشرين بيتاً قسمها الى جملة فصول وهي :  
(١) في بيان تعريب اسم الشاي وشهرته (٢) في بيان سبب حدوثه  
(٣) في بيان أقسامه (٤) في بيان مزاج الاخضر والاسود منه  
(٥) في بيان منافعه (٦) في بيان مضرته واصلاحه وبدله

---

(١) وهي قصيدة طويلة أعرصنا عن اتمامها لطولها .

(٧) في بيان كيفية طبخه وطريقة استعماله (٨) في بيان استعماله بالعنبر .

ولا بأس أن نقتطف شيئاً من منظومته الظريفة بدون تعليق  
أو شرح ، فقد قال رحمه الله تعالى في بيان أقسام الشاي :

الشاهي قسمان أخضر وأسود	والاحسن الاسود والمؤيد
وبعضهم مال وقال الاخضر	هو اللطيف الاحسن المفتخر
وليس عندي لازماً إذ قد أتى	في النظم والنثر الصحيح مثبثا
حقيقة الاسود قد قيل زهر	وورق قيل وليس معتبر
والورق الاخضر وهو ظاهر	لمن له به التماس باهر
نباته منبته بالصين	بيهجواد جاء باليقين
وهو نبات مشبه بالقضب	ولونه كما أتى في الكتب
وفيه نوع مرة بأصله	تزول عند طبخه وفصله
مزاجه بحسب التجارب	والفهم حارّ يابس فقارب
فقيل حارّ يابس في الاول	وقيل في ثانية حارّ معتل
وقيل بارد كذا يفهم من	قول ابن اسحق على ما قد زكن
وحارّ الاسود جافي الثانية	لكنه رطب فخذ بيانية

فخذ منافعاً أتت في الشاهي مقوّ للانعاظ ثم الباه  
يمنع أيضاً سرعة الانزال مهضم الاكل البطي في الحال  
ويحسن اللون ويدفع الجشا كذا يزيل البخر وأمراض الحشا  
مقوّ للدماغ ثم القلب مفرّح له مزيل الوصب

ويمضي الناظم يعدّد منفعه الى أن يقول :

فهاكها فوائد في الاخضر وقيسها في الاسود المفتخر  
كما أتى عن جملة أطبّا قد جرّبوها وهم ألبّا  
فذكروا منافعاً في الاسود هذي وغيرها فملّ للجيد  
وحسّنوا الاسود في أمّ القرى فملّ إليه يا أخي بلا مرا  
لانه رطب وذاك يابس والرطب في مكة جاء يمانس  
لكن أقول إن تكن ذا بلغم فاشرب من الاخضر ياذا واغم  
وإن تكن بغير ذا فالاسود للطبع فهو حسن وأجود  
لكننا الاخضر جافي الهضم أقوى من الاسود يا ذا الفهم

ثم يمضي الناظم يعدّد مضارّه الى أن يصل لكيفية  
طبخه فيقول :

وإن أردت طبخه يا صاح في الليل إن شئت اوالصباح  
فخذ من الماء القراح الجيد وصبّه في السموار واوقد

واغْلِيهِ غَلِيًّا جَيِّدًا عَلَى الْوَلَا      كَمَا أَتَى فِي قَوْلِ بَعْضِ الْفَضَلَا  
 لَا تَغْتَرِرْ بِصَوْتِهِ إِذَا غَلَا      حَتَّى تَرَى الْبَخَارَ فِي الْجَوِّ عُلَا  
 وَنَظْفَ الْبَرِّادِ إِنْ فِيهِ دَرَنٌ      وَضَعُ مَنْ الشَّاهِي فِيهِ وَاغْسِلَنُ  
 وَاسْكَبْ عَلَيْهِ الْمَاءَ إِنْ كَانَ غَلَا      وَلَا تَضَعْ لَا سَكْرًا وَلَا حَلَا  
 وَغَطِّهِ وَضَعُ عَلَيْهِ مِنْشَفَهُ      وَاصْبِرْ عَلَيْهِ سَاعَةً وَاسْتَعْرِفَهُ

وَهَكَذَا يَمْضِي النَّاضِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ وَوَصَفَهُ حَتَّى  
 يَخْتَمَ مَنْظُومَتَهُ اللَّطِيفَةَ ، وَلَمْ نَذْكُرْ جَمِيعَهَا لِثَلَا يَطُولُ الْكَلَامُ .



# القسم الثاني مَا جَاءَ فِي قَهْوَةِ الْبُنِّ<sup>٢</sup>

قال بعض الفضلاء :

رُبَّ سُدَاءٍ فِي الْكُؤُوسِ تَجَلَّتْ  
تَهَبُ الرُّوحَ نَفْحَةً مِنْ حَيَاةٍ  
عِنْدَمَا ذُقْتُهَا تَحَقَّقْتُ مِنْهَا  
أَنْ مَاءَ الْحَيَاةِ فِي الظُّلُمَاتِ

وقال برهان الدين ابراهيم بن المبلط شاعر القاهرة المتوفي

سنة ٩٩١ هـ :

يقول عذولي قهوة البن مرة  
وشربة حلو الماء ليس لها مثل  
فقلت على ما عبتها من مرارة  
قد اخترتها « فاختر لنفسك ما يحلو »

وقال الشيخ عبد الجليل الدرّاء وهو من اللطائف ما قيل :

هات اسقني قهوة بكريّة فضحت

بكر المدام وروّق لي الفناجين

تدعو الى نحو ما فيه البقاء ولو

دعت الى نحو ما فيه الفناجين

لو أن ألفاً أحاطوا حول ساحتها

قصد النجاة رأيت الألف فاجينا

يا ربة الأنس حلينا حماك فإن

نطلب فجودي وإن نسأل فناجينا

أما سمعت لسان الحال قائلة

إشرب هنئاً وقم ليلاً فناجينا

وقال مامية الرومي :

أنا الممشوقة السمرا وأجلى في الفناجين

وعود الهند لي عطر وذكرى شاع في الصين

وقال باكثير عبد المعطي بن الشيخ حسين المكي الحضرمي

المتوفي سنة ٩٨٩ هـ .

أهلاً بصافي قهوة كالأثمّد جليت فزينت بالبخار الاسود



لما أدبرت في كؤوس لجينها      بيمين ساق كالقضيبي الأملد  
يحكي بياض إنائها وسوادها      طرفا كحيلاً لا بكحل المروء

وقال شهاب الدين أحمد :

هم بابتة البن فقد ودها      للطفها أهل الحجا والدّها  
مذ سادت العنبر لونا شدا      لا تدعني إلا بيا عبدها

وقال محمد بن رضوان السيوطي المتوفي سنة ١١٨٠ هـ :

أسقنا من يديك قهوة بن      وأدرها ممزوجة برضابك  
لا تحكم سوى كؤوسك فينا      أنت كفؤ ونحن من خطابك

وقال الشيخ محمد البكري الصديقي :

شربنا قهوة من قشر بن      تعين على العبادة للعباد  
حكمت في كف أهل اللطف صرفاً      زباداً ذائباً وسط الزبادي

وقال الولي أحمد بن شاهين الشامي :

وقهوة كالعنبر السحيق      سوداء مثل مقلة المعشوق  
أت كسك فائح فتيق      شبهتها في الطعم كالرحيق  
تدني الصديق من هوى الصديق      وتربط الود مع الرفيق

فلا عدمت مزجها بريق

ولبعضهم في القهوة :

هي سوداء وهي بيضاء معنى  
مثل نون العيون يحسبه بنا  
يحسد المسك عندها الكافور  
س سواداً فانما هو نور

وقال بعضهم فيها :

أقول وقد دارت بنا بُنَّ قهوة  
أصورة غزلان بفنجان قهوة  
وقد سرني منها الغداة صبح  
إذا زفها ساق الى صبح  
أم الظبي حقاً قد تردى به فمن  
دم طفح المسك الذكي يفوح

وقال آخر في قهوة البن :

ما يهضم الزاد سوى قهوة  
ولا تخافوا الإثم في شربها  
فقربوها نحونا واقربوا  
فالله قد قال كلوا واشربوا

ولهام العنايةي :

قهوة لا صداع فيها نعم فيه  
صب في الصين مسكها فحكاها  
ها مزيل من الصداع يريح  
نفسٌ في بياض ثغريلوح  
ليل وصل في صبح لقيا حبيب  
طاب منها غبوقها والصبوح  
( وقال عبد الباقي المعروف بابن السمان في مطلع قصيدته )

بفض بكر وبشرب العجوز  
يدفع بعض الناس برد العجوز

ونحن قوم مالنا ثروة      ولا نرى في الشرع ما لا يجوز  
قهوتنا قهوة بنّ زكت      اتعيد أيام الصبا للعجوز  
وعندنا كانون جمر لقد      أعاد في كانون قيظا تموز

وقال أحمد المدني المعروف باليتيم ( بالتصغير )

لله محكم قهوة تجلى لنا      في أبيض الصينيّ طاب شرابها  
فكأنما هي مقلة مكحولة      ودخانها من فوقها أهدابها

( وقال بعضهم )

يا قهوة تذهب همّ الفقى      أتت لحاوي العلم نعم المراد  
شراب أهل الله فيها الشفا      لطالب الحكمة بين العباد  
نطبخها قشراً فتأتي لنا      في نكهة المسك ولون المداد  
فيها لنا تبر وفي حانها      صحبة أبناء الكرام الجياد  
كاللبن الخالص في حله      ماخرجت عنه سوى بالسواد

( وقال آخر )

عليك بشرب البن في كل ساعة  
ففي شربها يا صاح خمس فوائد

نشاط واهباط واذهاب بلغم  
ونور لأبصار وعون لعباد  
( ولبعضهم في فنجان قهوة مذهب )  
عرضت علينا قهوة من حسنها  
سلبت من الفنجان لون صفاره

( وقال بعضهم )

إشرب على زهر البنفسج قهوة  
تهدي السرور لكل قلب مكمد  
فكأنها خال بخد مهفف  
او أعين زرق كحلن بأمد

وقال آخر :

أنا قهوة من لب بن تعين على العبادة للعباد  
وعهدي بالظبا تأتي بمسك وهذا الظبي يأتي بالزبادي

ولبعضهم :

اغتم أخي قهوتنا وطعمها ولونها  
ولا تمل لعاذل في شربها ولو نهى

ولبعضهم :

خليليّ قوما نجتلي من زماننا  
سلافة بنّ عسجديّ منظمـ  
إذا ذاقها المحزون أبدل حزنه  
سروراً وأبدى بالحديث المكتمـ

ولبعضهم :

أقول لأصحابي عن القهوة انتهوا  
ولا تجلسوا في مجلس هي فيه  
فليست بمكروه ولا محرمـ  
ولكن غدت مشروب كل سفيه

ولبعضهم :

شراب البن يهضم كل أكل ويشفي الجوف من داءٍ مضر  
وينقي الفم من طعم كريه ويقطع دمة في العين تجري  
وصار الضيف لم يكرم بغير ولو كان الطعام عسيل بر

وقال بعضهم :

عرج على القهوة في حانها فاللطف قد حَفَّ بندمانها  
فانها لا همَّ يبقى إذا قابلك الساقى بفنجانها

لا يوجد الغم بجائتها      قد خضع الغم لسلطانها  
بمائها نغسل أكدارنا      ونحرق الهم بنيرانها  
يقول من أبصر كانونها      أف على الخمر وأدنانها  
فاشرب ولا تسمع كلام الذي      يحمله يفتي ببطلانها

( وقال أبو بكر العصفوري في قهوة جامها أصفر )

سوداء مثل المسك لا كالنقس      وجامها الاصفر مثل الورد  
جالبة للأنس بعد الأنس      حلت حلول زحل في الشمس

وقال ابو الفتح المالكي مضمناً :

قالت لنا قهوة العنقود حين رأت  
لقهوة البن قدراً في الأنام على  
لابدع إن حظني دهري لرفعتها  
« لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل »

وقال محمد بن الرومي مضمناً أيضاً :

قد قالت القهوة الحمراء وافتخرت  
كم قد ملكت ملوك الأعصر الاول  
وقهوة البن إن قدراً عليّ علت  
« لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل »

وقال بعض فضلاء دمشق في قهوة مثلجة :

غنيت بالثلج عن سوداء حالكة  
من قهوة لم تكن في الأعصر الاول  
وقلت لما غدا خلى يعنفني

في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل  
وقال محمد بن الرومي المذكور :

سمعت لسان الحال من قهوة الطلا  
يقول هلموا واسمعوا نص أخباري

فباسمي تسمت قهوة البن في الملا  
ولكنها لم تحك أصداع خار

فمن كذبتها قد سود الله وجهها  
وعذبتها بعد الإهانة بالنار

وقال حسين الجزائري الحلبي :

أسقني قهوة بن وامزج القهوة عوداً  
هي للصفراء والبلغم تحو وهي سودا

وقال بعضهم :

قهوة البن تدعي باينة الكرم شبهها  
كذبت في مقالها سود الله وجهها

وقال صدر الدين :

فنجان قهوة ذا المليح وعينه الـ  
كحلاء حارت فيها الالباب  
فسوادها كسوادها وبياضها  
كبياضها ودخانها الاهداب

وقال برهان الدين المبلط المتوفي سنة ٩٤٨ :

يا عائباً لسواد قهوتنا التي فيها شفاء النفس من أمراضها  
أو ما يراها وهي في فنجانها تحكي سواد العين وسط بياضها  
وقال اسماعيل بن حسن النهمي الصنعاني المتوفي في اواخر  
القرن الثاني عشر للهجرة في القهوة وقد طفى عليها المصطكى .  
ومدامة في قهوة القشر التي أزرت بخمرة بابل ورحيقه  
فكانها والمصطكى من فوقها كالنار في القرطاس بعد حريقه

وقال ايضاً برهان الدين ابراهيم المبلط المتقدم ذكره :

أرى قهوة البن في عصرنا على شربها الناس قد اجمعوا  
فصارت لشرايها عادة وليست تضر ولا تنفع

وقال بعضهم :

أرسل الينا قهوه نطفىء بها حر الكسل  
فإنها أحلى من المن ومن طعم العسل



وقال البديعي مضمناً :

جمعنا قهوتي بن وكرم      لنعلم من له ثبت الفخار  
فقال قهوة البن اشربوني      متى شئت في نسي العقار  
فأنشد ضاحكاً كأس الحميا      «كلام الليل يحويه النهار»

وقال بعضهم :

سقتني قهوة في جنح ليل      وفي يدها خضاب كالمداد  
فقهوتنا وكفاهها وليلي      سواد في سواد في سواد

وقال عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي :

يقولون لي قهوة البن هل      تحل وتؤمن آفاتنا  
فقلت نعم هي مأمونة      وما الصعب الا مضافاتها

وقيل عماد الدين محمد بن محمد البقاعي :

هذه قهوة الحلال أتتكم      تتهادى والطيب يعبق منها  
سودوها على الحرام بحل      وأماطوا غوائل الغول عنها

ولبعض الادباء وقد حمل فنجاناً من القهوة لاحد أصدقائه  
وقد سهر جزءاً من الليل :

رأيتك ساهراً والليل يجري      على عجل كمّن ركب الجوادا  
ومن يعصر قريحته بليلٍ      يحنّ لقهوةٍ «سكّر زيادته»

وقال الشيخ عبد المعطي بن حسين با كثير :  
قهوة البنّ جلّ مقصودي في الحقا والعلن  
هام فيها إمامنا السوري قطب أهل اليمن  
طبخها بالنّند والعود وبغالي الثمن  
وقال جامع هذه الرسالة عفا الله عنه آمين :

قهوة	بنية	سمراء	لا من علة
فنجانها	يحكي	لنا	عين مها الرصافة
تبدعوا	في صنعها	تفننوا	في البدعة
عريّة	نجديّة	أنعم بها	من قهوة
مصريّة	تأتي على	صينية	في هيئة
يمنية	لا يبنذوا	من قشرها	بجبة
بادر	وذقها مرة	تعرف لها	من حكمة
وانشق	شذاها مرة	تحكم بطيب	المنبت

وللسيد مصطفى الصمدي اليمني المولود سنة ١٠٠٤ هـ قد  
كتب للسيد صلاح الدين بن أحمد الشرفي مغزاً في القهوة :

وجارية سوداء إن هي أسفرت  
يقبلها أهل المروءة والنهي  
إذا ما اشتهى ظلم الحبيبة عاشق  
فمجموعها ظلم لعمرى مشتى

إذا بردت احشاؤها طال مكثها  
وإن أصبحت محومة طاب صبا  
وإن ذكر الأحباب طيب أصولهم  
ليفتخروا فالرشق بالقلب اصلها  
وإن سقيت من خالص الماء شربة  
تسارع فيها الشيب وابيض جسمها  
فأجابه السيد صلاح الدين المذكور بقوله :

إذا شئت حل اللغز منه فإنها  
لأول ما يقري الضيوفَ أولى النهى  
إذا ضيمها في الرشق فالقلب قد هوى  
وفي القشر بنیان لداء ذوالها  
إذا ادخلوه النار صار محببا  
وان أودعوه الظل صار مكرها

وقال العلامة محمد بن اسحاق في قهوة طفى عليها المصطكى:  
ناولني الرّيم الأغنىّ قهوة ردت لي النشاط بعد ما ذهب  
فكأنها والمصطكى من فوقها فصّ عتيق فيه نقش من ذهب

وقال زين العابدين بن محمد البكري المتوفي سنة ١٠١٣ هـ :

استقنا قهوة غدا في اللو ن حللا تفرج الهم عنا  
وأدرها من خالص البن صرفا لا تشب حسنها بغير فتننا  
واتبع قول اشرف الرسل حقا قال قولنا من غشنا ليس منا

وقال الشيخ البكري :

أسقني في الصباح قهوة بن أوهجت نارها لهيباً ووقدا  
وأدرها واشرب معي في أمان وتجاوز حداً ولا تخش حدا  
مثل نار الخليل تظهر ناراً وعليه كانت سلاماً وبردا  
سخنة المس طعمها فيه برد عجباً كيف مازج الضد ضدأ  
كذب القائلون لا نفع فيها فهي عون على فروض تؤدى  
وهي تنفي تكاسلاً وفتورا ومناماً لمن يحاول سهدا  
نفعها قاصر على شاربها فالذي لام شاربها تعدى  
أيها اللائم المشدد فيها لا تعلمي فقد بلغت الأشدا  
إن توافق فمرحباً أو تخالف فاتخذ بيننا وبينك سدا

وقال الاستاذ ابو المواهب البكري :

يا يوم بولاق وأنسى به حكاك من شوال يوم الهلال  
وأقبل النيل جنوباً وما من عارض الا نسيم الشما،

يا عارضاً أوجب للنيل ما      سلسله وهو طليق الحال  
وقهوة تنفج مسكاً ولا      بدع ففي الفنجان شكل الغزال  
حبايبها من فوقها مانع      نضاره مثل شباك اللآل  
تديرها هيفاء ممشوقة      خود تثنت في برود الدلال  
كاد حجا من أقبلت نحوه      يذهب من رنات تلك الحجال  
بغرة او طرة وزعت      أفكارنا بين الهدى والضلال  
تقول للشمس وقد أقبلت      تلثمي ما أنت الاخيال

وللشيخ عبد الصمد با كثير قصيدة طويلة نختصر منها ما يأتي:  
ألا يا طالب الراحة هذا      اوان البسط فاغنم ما يسرك  
إذا الإخوان قد جلسوا وطابوا      فجل في وسطهم يزداد برك  
وقهوتهم تدار ونشرها قد      علا بالنور أعلا الله قدرك  
إذا شئت المسره والعوافي      ويشرح بالرضا والانس صدرك  
عليك بقهوة البن التزمها      فما أهنا وما أشفا وأبرك  
إذا حمسته ونشقت ريا      شذا تحميسه فابشر بخيرك

وقال السيد محمد الحريري مفتي حماء :

هاتها قوة خلاصة بن      مرة الذوق تدفع النوم عني  
إنما الموت في الحقيقة موت      هل يحب الموت امرؤ متني

وأسقيناها بالهال يعبق فيها      طيبها فوق طيبه وادن مني  
 بفناحين صنعة الصين فيها      من بديع النقوش أعجب فن  
 فهي عند الكرام أول شيء      يحتسيه الانسان حين يثني  
 أين منها الشاي الذي ذكروه      فمن الشاي يا أخا الذوق دعني  
 انما الشاي في الحقيقة نبت      جلده يابس كشيخ مسن  
 وهو لم يخلط بسكر مصر      مرّ ذوق يأباه بالشرب جني  
 أنت فضلت أعجيباً على يع      ربّي وهذا من موجبات التدني

وقال المحدث الاديب غرس الدين الخليلي ثم المدني الانصاري  
 في قهوة القشر<sup>(١)</sup> وهو غلاف حبّ البن :

دع الصبء واشرب صفوقشر      مشعشة تدور بكف بدر  
 وإن شئت الصفا بادر سريعاً      الى حان لها صفو كبدر  
 فما الياقوت في لون نضير      وما لون النضار ولون تبر  
 دع الراوق ان رمت التداوي      وخذها فهي للأسقام تبـري  
 كان حباها المنظوم عقد      من الياقوت يجلي فوق نحر

---

(١) أي قشر البن فان اهل اليمن يستعملون قشر البن أكثر من حبه وبعضهم  
 يخلط معه القرفة والزنجبيل وبعضهم يشربه بالسكر وبعضهم يشربه  
 سادة من غير خلط وخلط القشر الجيد الجديد لذيد جداً .

سأسعى نحو مروتها أليّ  
ندمت ندامة الكسعي عليها  
سأدمن شربها ما دمت حيا  
وأجلو عين أغيارى وهي  
فرأى الآن يامن رام نصحي  
ولم لا وهي مشروب العوالى  
هي الراح المريح لكل روح  
وكل مخالف فيها فاني  
فقل إن قال ساقىها المفدى  
وخذاها من يديه في حضور  
فلا غول ولا تأثم فيها  
وان غال المحب وقال شهدي  
ولولا مدحتي للبن قلا  
ليُبس طباعه وسواد قلب

ويصفو بالصفاء صدري ونحري  
لما قد فات من أيام عمري  
ولا أصغي الى زيد وعمرو  
بصافىها سحيراً قبل فجرى  
إذا شاهدتها في الحان فاجر  
من السادات في بر وبحر  
ولم تمزج ولم تخمر بعصر  
أسفه قوله من أهل عصري  
جبا<sup>(١)</sup> يا مرحباً واسكر بسكري  
مع الساقى المليح بغير سكر  
ولست مرة بل طعم تمر  
أجيب نعم إذا ما كنت تمرى  
لعدت له بهجو ثم هجر  
له فهو الحري بكل هجر

\*\*\*

---

(١) جبا كلمة تقال في الهبة تقال من غير عوض عامية تاج العروس وهي كلمة  
ترحيب مستعملة عند العامة في الحجاز .

وقال العلامة محمد بن عبد القادر اليميني :

يا شاعراً فاق من أقواله الشعرا  
أبدى لنا من قوافي نظمه دررا  
أطربتني اذ وضعت القاف تتبعه  
هأأ وواواً وهأأ بعده زبرا  
فانها قوة اذما حذفت لها  
هأ تبين ذا من في الانام قرا  
لذاك ناسبها في ذكرك اسم قوي  
موافقاً عدها فاعده واعتبرا  
بقافها قوية أعضاء كل فتى  
وهاؤها الهدى ثم الواو منه جرى  
بين الانام الوفا والهأ آخرها  
منه الهبات وهذا السر قد ظهرا  
فاشرب هنيئاً فما في ذاك منقصة  
كلا ولا حركة تخشى بها ضررا  
وقال الشيخ عمر بن عبد الله بن مخرمة في مدح القهوة :  
لقهوة البن يا نديم فبكرا  
وكن بها يا فتى صباً بغير مرا



وحين يدعوك داعيها فقم عجلاً  
 ملبياً تابعاً في ذلك الأثر  
 وخذ شروطاً وآداباً لها وضعت  
 سمعاً الى قول منطق بها اختبرا  
 فأول الامر بسمل ثم صل على  
 محمد خير سادات الورى الكبرا  
 وبعد ذاك خذ القشر العزيز وكل  
 منه بمقدار ما للطبخ واعتبرا  
 ونقه الآن والقطه على مهل  
 فربما حوله الفأر اللعين خرا  
 وقدر الماء واجز الكل تجزية  
 ولا تدعهم يقولون زاد او قصرا  
 فالقشر سدس وماء خمسة واذا  
 شئت الزيادة زد سهماً وكن حذرا  
 وشب نارك اوقدها بلا لهب  
 لينقص الماء انت الان مقتدرا  
 وحين يرسب ذاك القشر وانتشرت  
 من حبة البن ريا عرفها العطرا

فصفها واحذر التسكين فهو لها  
 مفتر وقليل النفع ما فترا  
 حتى اذا بقيت في الدن صافية  
 فعند ذا ينبغي امعانك النظر  
 في طبع شاربها فاليابس الق له  
 فيها من القند كي لا يضعف البصرا  
 وضده الرطب فاستعمل له عسلا  
 وهل لذي الطب هذا يدفع الضررا  
 حتى اذا صلحت للشرب فادع لها  
 خفيف دم لبيب ان أشرت درى  
 ورح بها واغد في الصيني على فرش  
 نظيف جسم وثوب تبلغ الوطرا  
 في موضع ليس فيه ما يكدره  
 فانما جعلوها تذهب الكدرا  
 وقدم الطيب واشمم منه مبتدئاً  
 ولا تدعه وراها قلّ او كثرا  
 ولا تكن غافلاً عن منشد طربا  
 فهذه ساعة الاشعار والشعرا

وان تكن من رجال الدين زده على  
هذا شروطاً فخذ عني بها خبراً  
طهارة مثل تطهير الصلاة وكن  
مستقبلاً قبلة الإسلام مستترا  
نقي قلب بذكر الله مشغلاً  
في السر والجهر يا فوز الذي ذكرنا  
كذا على شربها قل يا قوي على  
أعدادها وبهذه أوص من حضرا  
تقول ذلك عشراً بعدها مائة  
وستة فالتزمها تصحب الظفرا  
فتنظر الكون مما قلت منبسطة  
فيها وتلمح ذاك السر كيف سرى  
فما هنا خبطوا فيها وما علموا  
بما جرى في قديم الأمر يوم جرى  
فهذه نبذة جاءت على عجل  
جمعت فيها لك الآداب مختصرا  
وفت ثلاثين بيتاً قلت آخرها  
الحمد لله مغني فاقة الفقرا

ولبعضهم :

ما بال قهوتكم زادت برودتها  
كأنها من جبال الروس قد جلبها  
فهل ذكرت حبيباً والهوى عجب  
نسيت من أجله الفنجان والرطبا  
أم غاب فكرك في أمر تراقبه  
لذا سهرت فلا تدري متى سكبها  
أم أنت ممن يحب الشاي مفتخراً  
وقهوة البن لا تدري لها نسباً  
أم قهوة البن هذي غير متقنة  
رديئة الطعم لا تبغي لها طلباً

\* \* \*

وقال السيد علي بن علي القارة الكوكباني عام ١١٧٢ هـ في  
قشر البن .

أدركها من الفنجان للصبّ قرقفا  
فقد كسيت من خالص التبر مطرفا

حللة لا اثم فيها الشارب  
 يباهي بها (عصمان) في الذوق (اخرفا)  
 تلوح على الاغصان وهي زمرد  
 وترجع ياقوتاً بهيّا لتقطفا  
 وتبسم عن در يسمى لدى الورى  
 بصاف لما يعلو على اللون من صفا  
 تشرذ جيش الهـم كل مشرد  
 وتمنح ذا الاسقام والوجع الشفا





# القسم الثالث

## مَا جَاءَ فِي الدَّخَانِ

الدخان في عصرنا يطلق على جميع انواع التبغ  
وهو نبت له ورق عريض وشهرته بين الانام تغني  
عن تعريفه ويسمى ايضاً بالتين بتاءين مضمومتين





# التدخين في البلدان العربية

جاء في ( مجلة العربي ) بتاريخ ٢٠ ذي القعدة  
سنة ( ١٣٨٦ ) هجرية بعنوان ( التبغ عند  
ظهوره لأول مرة في البلاد العربية ) بقلم  
ابراهيم محمد الفحام من القاهرة ما نصه :

عرف الاوربيون التبغ - اول مرة - في سنة ١٤٩٢ عندما  
شهده البحارة الاسبانيون في جزيرة Tabago احدى جزر  
الانتيل الاميركية . ومن اسم هذه الجزيرة اشتقت كلمة Tabaco  
الاسبانية ، و Tabacco الانجليزية ، و Tabac الفرنسية ،  
و ( وتنباك ) الفارسية ، و ( تبغ ) ، ( وطباق ) باللغة العربية .  
وفي سنة ١٥١٨ - على الأرجح - نقلت اوراق التبغ الى  
اوروبا ، ثم زرعت شجيراته في البرتغال بعد ذلك بأربعين عاماً .  
أما تركيا فقد قيل ان التبغ لم يظهر فيها الا في سنة ١٦٠٥ ،  
بينما يؤكد البعض انه ظهر فيها بعد ظهوره في اوروبا بسنوات  
قلائل .

## بدء ظهور التبغ في البلاد العربية

لا يمكن معرفة تاريخ ظهور التبغ في البلاد العربية ، على وجه التأكيد ، فقد اختلف الباحثون اختلافاً بيناً في تحديد ذلك التاريخ . ومع ذلك فان اختلافهم هذا ينحصر بين سنتي ٩٩٩ و ١٠٢٠ الهجريتين ، أي بين سنتي ١٥٩٠ و ١٦١١ بالتاريخ الميلادي .

وقد استشهد بعض الباحثين بشاعر مجهول ، قالوا انه أرخ ظهور التبغ في بلاد الشام بقوله :

سألوني عن الدخان وقالوا      هل له في كتابنا إيماء  
قلت ما فرط الكتب بشيء      ثم أرخت يوم تأتي السماء <sup>(١)</sup>

فاذا صح ما قيل على لسان ذلك الشاعر ، يكون ظهور التبغ فيها في سنة ٩٩٩ الهجرية وهو حساب حروف « يوم تأتي السماء » بالمثل - المقابلة لسنتي ١٥٩٠ و ١٥٩١ الميلاديتين . اي بعد قرن كامل من اكتشاف الاوربيين له .

---

(١) اي ( يوم تأتي السماء بدخان ) .

وجاء في شرح النجم الغزي الشافعي لمنظومة ابيه البدر في  
( الكبائر والصغائر ) ان التبغ ظهر في ( دمشق سنة ١٠١٥  
الهجرية المقابلة لسنتي ١٦٠٦ و ١٦٠٧ الميلاديتين ) اي في العام  
التالي لظهوره في تركيا على وجه التقريب .

واذا رجحنا الاعتقاد بأن التبغ ظهر في بلاد الشرق العربي  
عن طريق تركيا ، او عن طريق الموانئ الاوروبية على البحر  
الابيض ، فيبدو ان ظهوره ، في بلاد الغرب العربي كان عن  
طريق آخر . فقد ذكر احمد بن خالد الناصري في كتابه  
( الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ) ان التبغ - وقد  
سماه التابغ - ظهر في مراکش ، منقولاً عن بلاد السودان التي  
تعرف الآن بجمهورية مالي في سنة ١٠٠١ الهجرية ، المقابلة  
لسنتي ١٥٩٢ و ١٥٩٣ الميلاديتين ، ثم ظهر في فاس سنة ١٠٠٧  
الهجرية اي بعد ذلك بستة اعوام . ولم يلبث ان انتشر في سائر  
بلاد المغرب . ويفهم من ذلك ان التبغ قد انتقل الى بلاد المغرب  
عن طريق الجنوب .

وقد ذكر اللقاني في رسالته المشهورة ، رداً على سؤال عن  
التبغ ، ان شجرته ظهرت في مدينة تنبكو التي تتبع الآن  
جمهورية مالي سنة ١٠٠٥ الهجرية ، كما ذكر ان بعض الناس  
يسمونه ( التابغة ) و ( الطابغة ) و ( الطبق ) .

اما مصر فقد ذكر الاسحاقي في تاريخه أن التبغ ظهر فيها في اواخر سنة ١٦١١ الميلادية .

والواقع اننا لا نستطيع ان نطمئن تمام الاطمئنان الى احد التواريخ التي حدد العلماء والمؤرخون ظهور التبغ فيها في بعض البلاد العربية . والاقرب الى الحقيقة انها تواريخ تنبه الحكام له ، بعد انتشاره ، واصدارهم الاحكام والفتاوى بمنع تدخينه .

### فتاوى بتحريم التبغ

ولقد أثار ظهور التبغ في البلاد العربية ، وانتشار تدخينه ، مناقشات حادة حول اباحته وتحريمه . وقد علق الناصري في كتابه ( الاستقصا ) على ظهور التبغ في بلاد المغرب بقوله « ومن تأمل أدنى تأمل في قواعد الشريعة وآدابها ، علم يقينا ان تناول هذه العشبة حرام ، لأنها من الخبائث التي حرمها الله تعالى على هذه الامة المطهرة » . كما علق اللقائي على ظهور شجرة التبغ بأن « الله ابتلى بها المسلمين » .

وذكر الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه ( الصلح بين الاخوان ، في اباحة الدخان ) ان بعض العلماء الاتراك أفتوا بنجاسة التبغ ، وبفساد صلاة شاربه ، وان رائحته في الثوب والبدن لا يعفى منها وان شق زوالها ، بعكس رائحة الخمر ،

إذا شق زوالها ، وذلك لتعمد شربه من غير ضرورة . وقد  
ترتب على تلك الفتوى اضطهاد المدخنين ، وقتل كثير منهم .  
وذكر بعض العلماء ان مدخن التبغ يحشر يوم القيامة مثلما  
يحشر شارب الخمر ، اسود الوجه ، والغليون في عنقه ، وهو  
يلتهب ناراً ، وأيدوا ذلك بإحاديث موضوعة مصنوعة ، لا اول  
لها ولا آخر .

### فتاوى أخرى باباحته

وأفتى كثير من العلماء باباحة التدخين ، والفوا كثيراً من  
الكتب في الدعوة لرأيهم . ومن ذلك ما ألفه الشيخ نور الدين  
الزيادي ، والشيخ وفا العروضي ، والشيخ عبد السلام النابلسي ،  
الذي قيل انه ألف رسالة هاجم فيها احد قضاة الشام - وكان  
قد انكر عليه التدخين - سماها ( السيف الماضي في رقبة فلان  
القاضي ) .

ومن العلماء من لم يستنكر تدخين التبغ على النساء . ومن هؤلاء  
ابن قاسم العبادي من العلماء الشافعية ، فقد ذكر في حاشيته على  
شرح المنهج ( ويحب على الزوج شراء نحو القهوة لزوجه ان  
اعتادت ذلك ) ، وقال الشيخ علي الشبرايملي « انه ليس نحو  
القهوة الا الدخان » .

وقال الشيخ الحلبي صاحب السيرة النبوية في حاشيته على شرح المنهج « ويجب على الزوج شراء الدخان لزوجته ان اعتادت ذلك » بل لقد نسب الى بعض العلماء كان يشتريه لزوجته وبناته .

### لا يزال تدخين التبغ محرماً في بعض المذاهب

ولا يزال تدخين التبغ محرماً في بعض المذاهب الى اليوم . ففي جزيرة العرب يحرمه الوهابيون . كما يحرمه الاباضية في جزيرة العرب ، وفي ليبيا وتونس والجزائر ، والتجانية في شمال وغرب افريقيا ، والنصيرية في لبنان .

وهو كذلك محرم على عقّال الدروز ، كما حرمه مؤسس العقيدة البهائية في ايران .

### امسايب الحكام في معاقبة المدخنين

وقد اتبع الحكام - فيما مضى - اقصى وسائل القمع في محاربة التدخين . ويروى ان السلطان مراد الرابع كان يأمر بقطع شفتي مدخن التبغ ، وجذع انف من يدخنه سعوياً . اما السلطان محمد الرابع فكان يأمر بلف حبل من اوراق التبغ حول عنق المدخن ، ووضع غليونه في انفه ، ثم شنقه وهو في هذه الحالة .

وقد ذكر الجبرتي في تاريخه ان الوالي العثماني محمد البدقجي الذي ولي مصر في سنة ١٧٤٣ اصدر امراً بمنع التدخين في الشوارع والدكاكين ، وعند ابواب البيوت . وامر رجال الشرطة بأن يمشوا في انحاء القاهرة كل يوم ثلاث مرات ، فكانوا ينكلون بمن يضبط وهو يدخن ، حتى انهم كانوا يجبرونه على التهام حجر غليونه ، بمحتوياته المشتعلة .

وذكر السيد احمد بن زيني دحلان في كتابه ( خلاصة الكلام في امراء البلد الحرام ) ان الشريف مسعود بن سعيد اصدر في سنة ١١٤٦ الهجرية ، المقابلة لسنة ١٧٣٣ و ١٧٣٤ الميلاديتين ، أمراً بمنع الناس من التظاهر بتدخين التبغ في المقاهي والاسواق ، وعلل المؤرخ سبب ذلك الامر الذي اصدره الشريف بقوله « وقيل انه كان يعتقد فيه التحريم ، كما قيل انه لم يمنعه الا عندما تظاهر الناس بشربه في الشوارع ، وتعاطاه الاراذل والاسافل ، ولا يرفعونه اذا مر عليهم شريف او عالم او فاضل » . وفي السودان كان المهدي يحرم التبغ ويعاقب من يتناوله باي طريق من الطرق ، بجلده ثمانين سوطاً وسجنه مدة اسبوع .

### تصرفات مماثلة في البلاد الاوروبية

ولم يكن الحكام ورجال الدين المسيحيون في اوروبا أقل قسوة على مدخني التبغ من امثالهم في البلاد الاسلامية والعربية .

ففي انكلترا امر الملك جاك الاول بالقبض على السير ولتر رالي  
Walter Raleigh الذي عنى بنشر التبغ في البلاد ، ثم شنته  
ناسباً اليه تسميم الناس . وكان يبطش بكل من يتجر في التبغ  
او يدخنه . وكان الحكام الروس حتى اواخر القرن السابع  
عشر ، كانوا يعاقبون المدخن اول مرة بالجلد ، فاذا عاد جدعوا  
انفه ، ثم يحكمون بقتله في المرة الثالثة .

وقد ظل الباباوات يحاربون استعمال التبغ زمناً طويلاً ،  
ويعدون من يتناوله خارجاً على الكنيسة واشهر من عنى بذلك  
البابوان اوريان الثامن ، وانسونت الثاني عشر .

### هل كان التبغ معروفاً عند اجدادنا العرب

اثار اطلاق كلمة ( الطباقي ) على ( التبغ ) اعتقاداً خاطئاً  
بأن هذا النبات عربي الاصل . واستندوا في ذلك الى ورود هذه  
الكلمة في بعض المعاجم والمؤلفات العربية القديمة .

فقد ورد في القاموس المحيط ان الطباقي « شجر منابته جبال  
مكة ، نافع للسموم ، شرباً وضماً ، ومن الجرب والحكة ،  
والحميات العتيقة ، والمغص واليرقان ، وسدد الكبد ، شديد  
الاسخان » .

كما ورد ذكره ايضاً في لسان العرب ، وتاج العروس .



وذكره داود الانطاكي في تذكرته المعروفة وأضاف انه يسمى  
ايضاً « شجر البراغيث » ولم يعلل تلك التسمية ، وذكر له عدة  
فوائد طبية ، منها تحليل الاورام ، وازالة اليرقان ، واوجاع  
القلب والمعدة ، وتفتيت الحصى وادرار الطمث .

والحقيقة ان اوصاف نبات ( الطباق ) او ( التبغ ) الذي  
يدخنه الناس في أيامنا هذه ، لا ينطبق في شيء على اوصاف  
نبات ( الطباق ) الذي كان معروفاً عند اجدادنا العرب ، والذي  
يعرف الان في سوريا ولبنان باسم ( الطيون ) وهو ينبت طبيعياً  
في جبال لبنان ، وحول المياه في السهول ، ويستعمل في تزبيب  
العنب ، لصد الزنابير ، وليس الامر الا مجرد تشابه لفظي .

### اسطورة حول كلمة ( تنباك )

وكما أثار اطلاق كلمة ( الطباق ) على ( التبغ ) هذا الزعم  
الذي يستند الى التشابه اللفظي ، فقد اثارت كلمة ( التنباك )  
زعماء آخر يستند الى مثل هذا التشابه فقد قيل انه نبات فارسي  
الاصل ، لأن اسمه مركب من الكلمتين الفارسيتين ( تن ) اي  
( بدن ) و ( باك ) التي تحمل معنى ( الطهر ) او ( التطهير )  
وعللوا هذه التسمية باسطورة تنسب اكتشافه الى رجل فارسي ،  
ابتلي بقروح في بدنه ، ولدت فيه الديدان ، وأعيت الاطباء ،

فهام على وجهه في البراري يبحث عن علاج له ، حتى اهتدى الى شجيرة غريبة ، فاقتطف بعض اوراقها ، وراح يربطها على قروحه ، فامتصت افرازاتها ، وطهرتها من ديدانها ، فشفى ، وشاع استعمال تلك الاوراق على أوجه اخرى ، وأطلق على ذلك النبات ( التنباك ) اي ( مطهر البدن ) .

### تفنن العرب في تدخين التبغ

وقد امتدح كلوت بك كتابه ( لمحمة عامة الى مصر ) تفنن العرب في تدخين التبغ ، وتعطيره بماء الورد ، وقطع العنبر ، وتأنيقهم في تهيئة جلساته ، ومبالغتهم في تزيين غلايينه الثمينة — او ( شبقاتهم ) كما كانوا يسمونها ايضاً — اذ كانوا يصنعون مباسمها من الكهرمان ، مع زخرفتها بالميناء ، او ترصيعها بالاحجار الكريمة ، حتى كان يتجاوز ثمن المباسم منها في بعض الاحيان خمسمائة فرنك . وكان طول الانبوبة يختلف بين قدمين وستة اقدام . وكانت تصنع من أعواد شجر الكرز ، او الياسمين ، ثم تكسى بالحرير ، وقد يكسى طرفاها ايضاً بطول اربعة او خمسة ابهامات بالفضة او الذهب او الميناء ، وربما رصعت ايضاً ببعض الجواهر . اما حجر الغليون فكان يحمل بنقوش عربية بديعة .

وقد سجل لنا عيسى اسكندر المعلوف في كتابه (دواني القطوف) صورة شيقة للاساليب التي كان يتبعها اسلافنا في تدخين التبغ ، وأوصاف الغلايين والنارجيلات المزخرفة الثمينة ، التي كان يستعملها الاعيان والحكام ، كالامير حيدر المعني ، الذي كان لجليونه انبوبة من عود الكرز ، مغطاة بالقصب الفضي الى قرب رأسه ، حيث تتدلى منه ذؤابة بديعة . وكان مبسمه من الكهرمان الثمين .

وكان الامير بشير الشهابي يدخن في غليون كبير يتسع لربع رطل مصري من التبغ . وكان الدخان يتصاعد من فمه متخللاً شعر شاربيه ولحيته ، كدخان الاتون .

وكان في بعض القصور خدم مخصصون لاعداد الغلايين وتقديمها يسمّون ( الشبقجية ) وكانوا يتبعون سادتهم حاملين غلايينهم الثمينة ، اذا خرجوا للسفر او للنزهة .

اما لفافات التبغ اي ( السجاير ) فقد بدأ يتناولها اجدادنا في اواسط القرن الماضي . ويقال ان بداية ظهورها في بلاد الشام ترجع على وجه التحديد الى سنة ١٢٧٢ الهجرية ، المقابلة لسنتي ١٨٥٥ و ١٨٥٦ الميلاديتين .

وكان ظهور هذه اللفافات ببساطتها ، وسهولة حملها واشعالها ، نذيراً باختفاء أساليب التدخين القديمة ، التي كانت تضيي طابعها

الحالم المثير ، على ملامح المجتمع الشرقي في الامس القريب .

قال السيد علي المغربي الشهير بالأخضر :

لقد عنفونا في الدخان وشربه

فقلت دعوا التعنيف فالأمر احوجا

ألا إن عفريت الهموم بصدرنا

عصانا فدخلنا عليه ليخرجنا

ولبعضهم :

شربت دخان التبغ لا عن مودة

لها بل هو المقوت عند أولى الحجا

ولكن عفريت الهموم بصدرنا

عصانا فدخلنا عليه ليخرجنا

وقال صلاح الدين الكوراني الكردي المتوفي سنة ١٠٩٤ هـ :

لعمرك لم أشرب دخانا لأجل أن

تسربه نفس تداعى خروجها

ولكن زنابير الهموم لسعني

فدخلت حتى يستبين عروجها

\* \* \*

وقال العلامة محمد بن علي الحرموش الشامي :  
لعمرك لم أهو الدخان ولم أمل  
إليه لألفي نشوة وتطربا  
ولكنني أخفي به عن مجالسي  
دخان فؤاد بالغرام تلبها  
وقال بعضهم :

إذا شياطين الهموم تكاثرت دخن عليها عاجلاً فتطير  
وقد شطر هذا البيت أحدهم فقال :  
وإذا شياطين الهموم تكاثرت  
ودهتك من تعب الزمان أمور  
وأردت أن تنسى الهموم وكرها  
« دخن عليها عاجلاً فتطير »

وقال بعضهم :

فدينك جد بأذن للندامي ليأتوا بالدخان بلا توان  
تريد مهذباً لا عيب فيه وهل عود يفوح بلا دخان  
وقال العلامة الشهاب الحفاجي :

إذا شرب الدخان فلا قلنا  
وجد بالصفو يا روض الأمان

ترید مهذباً من غير ذنب

وهل عود يفوح بلا دخان

وقد عارض البيتين المذكورين السيد محمد الشهير بالمحيدى بقوله:

إذا شرب الدخان فلا تلمني على لومي لابناء الزمان

أريد مهذباً من غير ذنب كريح المسك فاح بلا دخان

وقال بعضهم :

رشت دخان التبغ لا عن سفاهة

ولا عبث يزري بقدرى ولا يزري

ولكن أداوى نار قلبي بمثلها

كما يتداوى شارب الخمر بالخمرا

ولابن النباس الحلبي وهو من شعراء القرن الحادى عشر :

وأرى التولع بالدخان وشربه عوناً لكامن لوعة الأحشاء

فأديم ذلك خوف إظهار الجوى وأشوبه بتنفس الصعداء

وقال بعضهم :

لما تبدى دخان التبغ ينفخ من

ثغر الحبيب به أهل الهوى ولعوا

قالوا سحب علا شمساً فقلت لهم  
 ما ذاك الا عبوق الورد يرتفع  
 وقال بعضهم في امرأة تشرب السجارة والقهوة :  
 أنفثي في الدخان اسرارَ صدركِ  
 وانشري بالشراب مطوىَّ سرِّكِ  
 واشربي قهوة الحبيب هنيئاً  
 ومريئاً فإنه تحتَ أمركِ  
 ثم جودي بنظرةٍ وابتسامٍ  
 واطرحيه على ترائب صدركِ  
 وقال الشيخ عبد الجليل برادة المدني في الشيشة - وتسمى  
 أرجيلة -

وما شربنا التبك حباً وإنما أردنا به معنى قفوا وتأملوا  
 أردناه فيما بيننا فلعلنا إلى ريق من نهوى به نتوصل  
 وقال عبد اللطيف المعروف بلطفى بن المنقار المتوفى سنة  
 ١٠٥٧ هـ :

وبكفه قصب الدخان وينفث الصع  
 مداء لكن للنديم نثار  
 والوجه عند الشرب كأنه  
 حلّى المجن وقد أثير غبار

وقال الشاعر نعمت قازان في السجارة :

مهففة بيضاء كالثلج لونها	ولكن في أحشائها النار تلذع
أقبلها في اليوم مليون قبلة	فلا أستحي منها ولا تتمنع
كأنني بها عذراء برت بحبها	فلاهي ترويني ولا أنا أشبع
تراني إذا ما نلت منها لبانتي	رميت بها كفراً ولا أتورع
ولله نفس قد وقفت ببابها	يميني تستجدي ويسراي تصفع
أقدمها على مذبح الشعر شمعة	إذا لم يكن للوحي في النفس منزع
تموت على ثغر البريء شهيدة	فأحرق أنفاسي بخوراً يوضع
أصعدها شيئاً فشيئاً كأنني	أحس بروحي تستميت وتطلع
كذا الحب يأنفسي فإن تطمعي به	ولم تتلاشى فيه هيات يطمع
أسيجارتي إني على العهد قائم	وما حيلتي في دفع ما ليس يدفع

معزيتي والكأس بالمر حجبتي

ومؤنستي والكأس صرف تشعشع

صحبتك أنسى فيك حباً أضر بي

إذا بك مثل الحب لو ضر ينفع

وقال الاستاذ أحمد صافي النجفي في السجارة أيضاً :

تَحْذِرُهَا أمةٌ حتى غدوتُ بها

عبداً فما أنا أفنيها وتقيني



وقال الاستاذ سليم تقلا مؤسس جريدة الاهرام بالقاهرة في  
التدخين :

عذل التدخين قوم قد رأوا بيدي سيجارة أعشقها  
قال دعها فهي سمّ نافع قلت لا والله لا أعتقها  
إن تكن سمّا فاني محرق شرّها بالنار إذ أحرقتها  
وعليه فاعذلوا او فاعذروا فعلى الحالين لا أطلقها  
ومن لطائف بعض المحبين قوله : عندما تبدأ السيجارة  
تشتعل يبدأ القلب يحترق ، وبعدد السجاير المشتعلة توجد  
قلوب محترقة في هذا الوجود .

وقال الاستاذ فوزي المعلوف في :

## حميرنا وسيجارة

وما انسى لا انسى وقوفي امامها  
وفي نفسها شك بصدقي وفي ودي  
فقلت : ليهنئك الهوى في لفافة  
تعشقتها قبلي وما زلت من بعدي  
نحيلة جسم ألبستك نحوها  
وصدتك عن وصلي واعمتك عن صدي

على بعدها ما كنت تصبر ساعة  
وتصبر أياماً طوالاً على بعدي  
فدعني ، اني أكره الشرك في الهوى  
وما نالني الا الذي هام بي وحدي  
فلا يسع القلب اثنتين بحبه  
وهل يستوي سيفان لو شئت في غمده  
فقلت لها مهلاً ، فما كنت مذنباً  
وها أنا باق في هواك على عهدي  
اتعروك من هذي اللفافة غيرة  
وما بعدها يشفي ولا قربها يجدي  
ولكنها ان غبت كانت نديمتي  
على رغم ان ليست تعيد ولا تبدي  
اراك خيالاً في ضباب دخانها  
تغلغل من احلامي البيض في برد  
أرى فيه حيناً شكل عين جميلة  
والمس حيناً فيه تكويرة النهد  
وان مضني سهد وطال بي الدجى  
وكانت بقربي ما تدمرت من سهدي  
وان تجدي شكاً بقولي فجربي  
بواحدة تسي وعندك ما عندي

وكان دخان موصل قبلاتنا  
على رغم بعد الحد منا عن الحد

\*\*\*

وقال أحد ادباء جدة في الشيثة وهو الاستاذ عبد  
الوهاب نشار وذلك سنة ١٣٤٩ هـ :

أصديقي أنت أشاهده	فصداك حشاي تردده
أم بركان تضطرم لنا	ر بأعلاه فتصعده
والماء يحوفك مسكنه	يعليه الجر ويرقده
رشقات لماك تكيفني	والهم غناك يبيده
برع الهندي بمخترع	قد أفقرني شلت يده
لا النفس تطيع فأهجره	وأراعي الجسم وأرقده
وأوفر شهري ديناراً	وأنعم كيس مغمده
أبدأ لا أقدر أهجر ما	إن نفذ الأنس يحده
يا بنت الهند كفا صلفاً	فدخانك قلبي مصعده
أحرق فتواداً مكتئباً	لو غيرك كانت تسعده
إبليس أبوك وهل شك	والنار برأسك مقعده
ووليك بيع يهوى	إني أمهرك فأنقده
زيدي عجباً أزدد كلفاً	فبحسبك بت مقبده
علمني حبك معنوه	أراد الله وأبعده

وقال فيها أحد أدباء مكة وهو الاستاذ محمد علي قطب  
وذلك سنة ١٣٧٣ هجرية في الشيثة :

فقرقري ما شئت أن تقرقري  
وغرغري كالفارق المحتضر  
وأزفري من خافقٍ مُلتهب  
سحاباً كالألبل المعتكر  
وأرو من عطر شذاك العبقري  
نفسى لتحيى بشذاك العطر  
ففي الشذا روح لصبٍ هائم  
وهائف بالمأمل المزدهر

\* \* \*

كم ذا ألد مأوك المضطرب  
صباً غداً من دهره في وجَل  
وكم على صوتك قد لَدَّ له  
تأمله في كل أمرٍ معضل  
فراح كالطير يغني شادياً  
مردداً في نشوةٍ كالتمل

بشائر النصر على أشجانه  
في يومه أو غده المُستقبلِ

\* \* \*

في رأسك الخمور عطرٌ عابقٌ  
ترجيه أنفاسي عبيراً مُضرباً  
فؤادك الحفّاق نطق شاهد  
يُظهر ما كان خفياً مُبهماً  
يبين عن حبٍ كمينٍ ساعراً  
وخاطرٍ فاضٍ معيناً مسجماً  
فهل ترى بدعاً لأرباب الهوى  
أن يصبح الكل محباً مغرماً  
وقال عمر أفندي الأنسي البيروتي في الشيشة أيضاً :  
إني كلفت شيشة ما نالها  
كسرى ولا ماء السماء لها حوى  
أعددها لي شادياً يشدو على  
نغم الحجاز إذا أضر بي النوى

ومن الصبابة أعربت نغماتها  
ما أضمرته بقلبها أيدي الجوى  
حتى إذا سامرتها وترنمت  
كترنم الحادي بمنعرج اللوى  
غنت فأطربت الجليس بصوتها  
وكذاك من بفؤاده لعب الهوى

وكتب الاستاذ عبد القادر رشيد الناصري من بغداد  
مقالة بعنوان « الدخان في الشعر » في مجلة الرسالة التي  
تصدر بمصر بعدد ٩٢٥ وتاريخ ٢٦ مارس عام ١٩٥١ م  
نقطف منها ما يتناسب مع ما نحن بصدده وهو :

قال المرحوم معروف الرصافي قصيدة طويلة في وصف  
« السجارة » سماها « العادات قاهرات » مطلعها :

كلُّ ابنِ آدمَ مقهورٌ بـعاداتِـ  
لَهْنٌ يَنقَادُ في كلِّ إِراداتِـ

ثم يسترسل الى أن يقول :  
لوْ لمْ تكنْ هذه العاداتُ قاهرةً  
لَمَّا أُسِغَتْ بحالِ بنتِ حاناتِـ

ولا رأيت « سيجارات » يُدخنها  
 قومٌ بوقتِ انفرادٍ واجتماعِ  
 إنَّ الدخانَ لثانٍ في البلاءِ إذا  
 ما عُدتِ الخمرُ أولى في البلياتِ  
 ورُبَّ بيضاءَ قيدَ الأصبعِ احترقتْ  
 في الكفِّ وهي احتراقٌ في الحشاشاتِ  
 إنَّ مرَّ بينَ شفاهِ القومِ أسودُها  
 ألقى اصفراراً على بيضِ الثنَّياتِ  
 وليتها كان هذا حظَّ شارِها  
 بل قد تفتَّ بكفِّهِ المراتِ  
 عوائدُ عمتِ الدنيا مصائبُها  
 وإنما أنا في تلكِ المصيباتِ  
 إنَّ كلَّفتني السَّكارَى شربَ خمرتهم  
 شربتُ لكن دخاناً من سِجَّاراتِ  
 وقلتُ يا قومُ تكفيكم مشاركتي  
 إيتاكم في التِّذاذِ بالمضرَّاتِ  
 إني لأمتصُّ جمرأُلفاً في ورقِ  
 إذ تشربون لهيباً ملءَ كاساتِ

كلاهما حَقَّقْ يَفْتَرُ عَنْ ضَرَرٍ  
 يَسُمُّ مِنْ دَمِنَا تِلْكَ الْكُرَيَاتِ  
 حَسْبِي مِنَ الْحَقِّ الْمَعْتَادِ أَهْوَنَهُ  
 إِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنْ هَذِي الْحَقَاقِ  
 يَا مَنْ يَدْخُنْ مِثْلِي كُلِّ آوَنَةٍ  
 لِمَنِي أَلْعُكَ وَلَا تَرْضَ اعْتِذَارَاتِي  
 إِنْ الْعَوَائِدُ كَالْأَغْلَالِ تَجْمَعُنَا  
 عَلَى قُلُوبٍ لَنَا مِنْهُنَّ أَشْتَاتِ  
 لَوْ لَمْ يَكِ الدَّهْرُ سَوْقًا رَاجٍ بِاطْلَاهَا  
 مَا رَاجَتْ الْحُمْرُ فِي سَوْقِ التِّجَارَاتِ  
 وَلَا اسْتَمَرَ دُخَانُ التَّبَعِ مَنْتَشِرًا  
 بَيْنَ الْوَرَى وَهُوَ مَطْلُوبُ كَأَقْوَاتِ  
 لَوْ اسْتَطَعْتُ جَعَلْتُ التَّبَعُ مُحْتَكَرًا  
 فَوْقَ احْتِكَارِهِ لَهُ أَضْعَافُ مَرَّاتِ  
 وَزِدْتُ أَضْعَافَ أَضْعَافِ ضَرِيبَتِهِ  
 حَتَّى يَبِيعُوهُ قِيرَاطًا بِبَدْرَاتِ  
 فَيَسْتَرِيحُ فَقِيرُ الْقَوْمِ مِنْهُ وَلَا  
 يُبْلَى بِهِ غَيْرُ مِثْرِ ذِي سَفَاهَاتِ



وللاستاذ محمد صالح بحر العلوم رباعية جميلة في وصف  
السيجارة وهي :

ذات جسم مستخلص مِنْ نضار  
حجبت نفسها عن الأنظار  
في خمارٍ من اللّجَيْن شربنا  
من شذاها خمرأً بدون خمار  
قبلَ « العود » رأسها فأحسّت  
باحتراقٍ واستسلمتْ بانكسار  
وأذابتْ أنفاسها بدخانٍ  
في فمي ذوبَ جسمها في النار

وقال الشاعر العراقي المرحوم محمد سعيد الحبوبي وهو  
من شعراء القرن التاسع عشر للميلاد في وصف « النارجيلة »  
أي الشيشة :

ونار جليّةٍ تهذّي بكفٍّ رشا  
حلّو الدّلالِ رَشِيقُ القدِّ مَيّاسِ  
ظلتْ تعربدُ في كفتيه شاربة  
من ريقه العذب لا مِنْ نَهْلَةِ الكاسِ

حتى إذا جادَ لي فيها بثتُ بها  
وَجَدِي عَيَاناً تراهُ أعين الناسِ  
حيثُ الدخانُ إذا ما جال في كبدي  
مَوَّهَتْ في نفخِهِ تصعيد أنفاسِ  
جاءتُ تَرَرْهُ فَوَيْقُ الماءِ مئزرها  
وفوق مفرقها لآلاءُ مِقْبَاسِ  
أعدَيْتُها داءَ برحائي معاكسةً

فالدفع في قلبها والنار في الراسِ  
ومن الطف ما قيل في الشيثة ما نقلناه عام ١٣٥٩ هـ  
عن الاستاذ سليم أبي الاقبال اليعقوبي المعروف بحسان  
فلسطين وهو سمعه عن فضيلة الاستاذ العلامة الكبير الشيخ  
محمد بن حيت مفتي الديار المصرية رحمها الله تعالى وهو :  
ولابسة من الياقوت تاجاً تقهقه لي إذا قبلت فاها  
إذا مارمت كتم السر يوماً أرى فاها بسر الوجد فاها  
وقال بعضهم في الشيثة ايضاً :

ظهرت محاسنها على يافوخها فتكملت بالدر والمرجان<sup>(١)</sup>  
لعب الهوى بفؤادها فتضرمت أحشاؤها فتنفست بدخان

---

(١) يتفنن بعضهم بصنع الشيثة ويرصع رأسها التي توضع فيها التبناك بأنواع  
الحجارة الملونة فيكون لها منظراً حسناً بديعاً .

ولبعضهم في الشيثة :

جليستي شيشتي والقد منها      طويل كالقنا أو نحر بدر  
أشبهها إذا كانت أمامي      مناراً أو فناراً وسط بحر  
حباها الصانع الفنان نقشاً      بديعاً فاتناً من غير سحر  
إذا داعبتها ورشفت منها      تقرقر بطنها من غير ذعر  
وإن في رأسها أشعلت ناراً      ترى من جوفها الدخان يسري  
وإن مص الحب بغير عنف      لهاها قابلته بكل بر

ولبعض الظرفاء باللغة العامية :

تعميرةُ الصبحِ مصباحُ البدنِ  
تشوفُ بها مصرُ منُ وراَ عدَنُ  
إشربُ هنيئاً تمباكُ مُعطرُ  
تجمعُ لكَ أفكارُ ما تدرِي الحزنُ  
تنباكُ وُحمى تَطيفُ مَنَقى  
ورَدَ حديثاً منُ أرضِ اليمَنُ  
إشربُ وَكِيفُ وَانفُخُ دُخانَكَ  
وَاشربُ منَ الشايِ ممزوجِ اللَّبنِ

شَيْشَهْ ظَرِيفَهْ زِيَّ الْعَرَوَسَهْ  
 خُذْ نَفْسْ مِنْهَا يَا صَاحِبَ الْفَنِّ  
 إِنْ كُنْتَ تَعْبَانُ تَصْبِحْ مُلْحَلَجْ  
 أَوْ كُنْتَ طَفْشَانْ تَبْقَى مُسْلُطَنْ  
 اللَّيْلُ يَا لَيْلُ يَا لَيْلُ يَا لَيْلُ  
 أَنَا الْمُحَشَّشْ رَاسِي مُشَنَّنْ

وقال علي بن محمد المعروف برضائي المتوفي ١٠٣٩ في  
 الغليون :

غليوننا حين همت كل فائبة به وساورنا هم وأفكار  
 قد اهتدينا إلى شرب الدخان به كأنه علم في رأسه نار

وقال بعضهم :

غليوننا لقد غلا      ما فيه والماء يفور  
 في مهجتي ومقلتي      دخانه أضحى يدور

وقال بعضهم :

قد مَنْ خالقنا في ذا الزمانِ على  
 كل العباد بسرٍّ فيه مكنونِ

فأبدل الكاسَ والحمرَ الحرامَ بما  
أباح من تُتْنٍ شافٍ وغلِيونٍ  
وقال الشيخ محمد بن علي الحرفوش الشامي :  
يقولون في الغليون فرطت رغبة  
وليس بشيء تقنّيه وتختارُ  
فقلت لهم ما ذاك الا لكونه  
مُضَاهِيٌّ لا تنفك عن قلبه النارُ  
وقال الحسن الصفدي القليوبي الشاعر المتوفي سنة ١٠٨٥ هـ :  
حكى دخان سما من فوق وجنة من  
قد مصّ غليونَه إذ هزّه الطربُ  
غيمٌ على بدرٍ تمّ قد تقطّع من  
أيدي النسيم فولّى وهو ينسحبُ  
نقلت والنار في قلبي لها هبُ  
لقد حكيتَ ولكن فأنك الشنبُ  
وقال بعضهم موالياً في الجوزة :  
عندي جُوزة من الهند مُركّب عليها غابُ  
أخذتُ منها نفْسُ العقلُ مني غابُ  
زعقتُ بعزٍّ ما بي وقلتُ يا قوَابُ  
تتوبُ علينا من الجوزة وشربِ الغابُ

ولبعضهم يخاطب ضابط مكتب الخدرات واسمه عبد الحليم :

« عبد الحليم » ليه كده يا مفرّق الأحباب

تحرمننا من « جوزة » المحبوب وشرب الغاب

ولبعضهم من أهل اليمن في الشيثة - ويسمونها المداعة :

دي شيشتي أنيستي جليستي في وحدتي

تقول في كركرها بالله خذني بالتي

وقال بعد الظرفاء وقد دخل في مقهى يسأل عن صحف

الصباح ليطالعها :

ولقد دخلت على المعلم طالبا تعبيرتين لأستمخ وأنجلي

وأطالع الأهرام والصحف التي جاءت تصبّحنا بصبح فللي

فاذا بها قد باعدت وتدللت والثقل من طبع الحبيب الأول

( يعني ان صحف الصباح لم تأت بعد )

وقال هذه القصيدة الخمسة في اللفافة ( السجارة )

الأستاذ وهيب افندي الدمشقي الشاعر البليغ حينما حج

عام ١٣٦١ واجتمعنا به في مكة المشرفة :

أشعلتها فتصاعدت آهاتها ولثمتها فترددت أناتها

ومسكتها بأناملها ودخانها يسري كسكرى أغمضت أجفانها

حيران تسأل نفسها عن جرمها

قبلتها فتساقطت أعطافها داعبتها فتناثرت أطرافها  
ناديتها فسألتها عما بها فتنهدت تشكوا اللهب بقلبها  
لهباً تلظت ناره في حبها

فتناثرت من أعيني لشكاها قطرات دمع زدن في زفراتها  
فبدأت أحمداً نارها ولهيبها فبكت وقالت رحمة دعني بها  
أحرق نصف حشاشتي فأتمها

التفتي إن الحياة ولهوها حلم فهلا ذقت يوماً صفوها  
كلا لعمرى ما عرفت هناءها بل كنت دوماً تشكين عناءها  
فامضي إذن وتخلصي من ظلمها

وكتب الأستاذ محمود محمد بكر هلال في مجلة الرسالة التي  
تصدر بمصر بعدد ٩٢٥ وتاريخ ٢٦ مارس عام ١٩٥١ بعنوان  
( بين شاعر وسيجارة ) ما نصّه :

أغرّت السجارة الشاعر بأنفاسها العطرة ، فجرى في  
حبال هواها ، وجاذبها قبلة بقبله ، وبادلها حب بحب ،  
ولكنه عندما اضطربت أنفاسها في صدره ، واضطربت  
قبلاتها على ثغره ، سئم هواها ، وملّ أنفاسها ، فهجرها  
إلى غير عودة ، ونأى عنها على غير ميعاد ، فكان بينهما  
هذا الهجر وذلك العتاب .

قال الشاعر عن السجارة :

جاءتُ مُراودُ في هواةٍ      وتشوّقي في دلّ غادةٍ  
أغرّتُ فميّ قبلاُتها      كفدتُ لِزاماً كالعبادةِ  
وتنسّكتُ في حبّها      لي وارتدّتْ ثوبَ الزهادةِ  
مازلتُ أهواما وأطلُ      ب' مِنْ مباسمها الزيادةِ  
إنْ غابَ عنيّ ثغرُها      فقدَ النّهي منّي رشادةِ  
حتّى صحتُ عشيّةً      وإذاها . ولها السيّادةِ  
سجّارةٌ غدارةٌ      قد حرّمتُ جفني رُقادةِ  
هيفاءُ تغري كل ثغر      بالصباية      والودادةِ  
طلّقْتُها وأنا المح      ب' فبعدها عني سعادةِ !  
ماذا يفيدك من دخا      نك بعدما تذرّو رمادةِ ! ؟  
إما إضطراب في التنف      س قد يجر الى الشهادةِ !  
إما سُعال فائك      يدعو الى باب العيادةِ !  
صدرُ المدخّن كالظلا      م فلن ترى إلا سوادهِ !  
خيرُ الأمور لعاقل      ألاّ يكون أسير عّادهِ !  
من لم يضحّ فلا تصح      مثله      فينا القيّادةِ !



فأجابته السيجارة :

أنسيتَ أني راحة      من كل نازلةٍ وسلوى ؟  
أنسيتَ باعثة الحيا      ل إذا النهى أكدي وأقوى ؟  
قُبلاتُ ثغري متعة      وحديثها همس ونجوى !  
تحنو عليّ إذا ظمئُ      ت فتحتسي مني وتُروى  
أنفاسُ غانيةٍ من القبر      لات والصبوات نشوى !  
في جوّها سَبَحَ الحيا      ل بكل ما تصبو وتهوى  
تصاعدُ الأنفاس في      دنيا من الآمال تُطوى  
فكأنها الغيمُ الرقي      قُ يراقص الأفكار زهوا  
فَلِمْ التباعضُ والقلبي      وأنا التي بالنار أكوى !  
أيليقُ هجرانُ الحبيد      ب وحفظه للودّ يُروى ؟  
أنسيتَ أنَّ الهجرَ به      د الوصل للعشاقِ بَلوى ؟  
راجعُ فؤادك فالبحر      ب على التباعدِ ليس يَقوى

فرد عليها الشاعر :

أبدأ فلستُ براجعٍ      عَنْ هجرها طول المدي !  
مَنْ ذا الذي يَهفو الي      ثغري ثنياهُ الردي ؟  
آليتُ لا أصغي لَهَا      أبدأ وأتركها سُدى !  
كوز حَزَحَتْ جبلَ المقط      م ما مَدَدَتْ لها يدا !

ولعبد العزيز صبري في الشيشة :  
 كم من ليال قضيناها مسامرة  
 في ساحة « السيد السقاف » بالأدب  
 لم أنسى شيشتها الهيفاء حاضرة  
 تحنو إلي بلا ختل ولا كذب  
 فما أشد ارتشافي من لذاذتها  
 كأن في ثغرها ورداً من الضرب  
 والشاي والقهوة الفيحاء نرشفها  
 والظرف واللفظ والسوى من الطرب  
 فيا ليالي أنسى بين من حمدت  
 خصالهم وذوي الآداب والحسب  
 عودي لنا بصفاء الدهر ثانية  
 وجددي مرحى في ساحة العرب

وقال جبران تويني في الشيشة نقلاً عن مجلة الاديب التي  
 تصدر ببירות من الجزء السابع من السنة الثانية بتاريخ  
 سنة ١٩٤٣ :

أركيلتي<sup>(١)</sup> تعددت صفاتها واستحكمت من أضلعي لذاتها  
 جليستي في وحدتي أنيستي تطرب مني النفس كركراتها

---

(١) هي الشيشة وبالفارسية نارجيله وتسمى في اليمن مداعة .

من نسل طهباز<sup>(١)</sup> رأت كسرى على  
يسيح منها القلب في قارورة  
يمتد من صميمه نبر يشها<sup>(٢)</sup>  
تتوجت بالنار فهي علم  
أروح في الصبح بها واغتدي  
ألثمها ثم أعض فمها  
فتلتقي أنفأسنا في لذة  
وارسل الدخان تراح به  
تفرج الهموم عني نفخة  
والنفس تلقي في السكون راحة  
قضت علي بالتواري مدة  
فكنت أقضي الوقت مع أركيلتي  
أبثها هي فألقي عندها  
فتتناجى وكلانا صامت  
وإن أحدث سكنت راضية

إيوانه موزونة دقاتها  
تحف في مياها أناتها  
فتنجلي عن صدرها كرباتها  
تأتم إن ضلت به هدايتها  
في نشوة تنعشي قبلاتها  
حتى تروي شفتي لهاها  
إن ما نهلت اتقدت جمراتها  
نفس عليها ازْدَحَمَتْ علاتها  
تكثر في سكونها عظامها  
إذا الهموم استحكمت حلقاتها  
سياسة تعددت لوثاتها  
فلي شكاتي ولها شكاتها  
روحاً بروحي امتزحت ذراتها  
فإن نفخت عذبت نغماتها  
لا تقطع الحديث شقشقاتها

---

(١) قيل هو مخترع الشيشة .

(٢) هو اللي .

رفيقة مطواعة نديمها      تؤنسه في راحة جلساتها  
يا ليت كل امرأة تأخذ ما      انطوت على محمود صفاتها  
فتسمع الحديث إن دار ولا      تقطعه بالسخف ثرثراتها  
سيدتي عفواً فاني هازل      والنفس في الهزل لها سقطاتها  
أركيلتي إذا أرت لي بهجة      طابت لي الدنيا ولي بهجاتها

والشيخ عبد الجواد المدني في الجراك :

شرب الجراك أنيسي      مع من أحب إذا وفا  
وبه يتم سروري      « بشوالة »<sup>(١)</sup> نعم الصفا

وقال بعضهم في شرب الدخان :

قالوا تعاطي الدخان قبح      فقلت لا ما به قباحه  
ففيه صرف لشغل فكر      وفيه عون على الفصاحة  
ولم يرد بالحرام نص      فالأصل في شأنه الإباحة  
فرد عليه المرحوم للشيخ زكي الدين سند المصري بقوله :  
قالوا تعاطي الدخان حسن      فقلت لا كله قباحه  
يسم جسماً يضر صدرأ      كريح عديم راحه  
أبعد ذا لم يكن حراماً      أبعد ذا أصله الإباحه

---

(١) شوالة - اسم بستان بالعالية بالمدينة المنورة .

كتبنا الأبيات المقدمة مع رد الشيخ زكي الدين عليها  
نقلًا عن تلميذه الفاضل المحترم الأستاذ محمد علي بك العكام  
مفتش مخازن السجون بالقاهرة اجتمعنا به في القطار الذاهب  
منها الى الاسكندرية في اليوم الثالث من ذي القعدة سنة  
ألف وثلاثمائة وتسع وستين هجرية الموافق ١٨ أغسطس  
سنة ١٩٥٠ ميلادية .

وقال بعضهم في التحذير من شرب الدخان :

إِتَّبِعْ طَرِيقَ الْهُدَى وَامْشِ عَلَى السُّنَنِ  
وَخَالَفِ النَّفْسَ وَازْجِرْهَا عَنِ الْهَنْ  
إِيَّاكَ مِنْ بَدَعٍ تَأْتِيكَ فِي عَطْبٍ  
لَا سِمًا مَا فَشَى فِي النَّاسِ مِنْ نُتَنِ  
مُخَدَّرِ الْجِسْمِ لَا نَفْعَ بِهِ أَبَدًا  
بَلْ يُورِثُ الضَّرَّ وَالْإِسْقَامَ فِي الْبَدَنِ  
وَلَا يَغْفِرَنَّكَ مَنْ فِي النَّاسِ يَشْرِبُهُ  
فَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ أَوْضَحِ السُّنَنِ  
يَقْضِي عَلَى الْمَرْءِ فِي أَيَّامِ مُحْتَبِهِ  
أَنْ قَدْ يَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ

وقال بعضهم لغزاً في الدخان وهو :  
 ومحبوسٍ بلا ذنبٍ جناهُ  
 لهُ في الشكلِ لون من رصاصٍ  
 إذا أطلقته يمضي سريعاً  
 يُقبَلُ فاكٍ من شرك الخِلاصِ

ويقال إن لشعراء النجف الشيء الكثير في وصف الدخان  
 الى هنا إنتهينا مما ورد في الدخان ، ولا بأس ان  
 نذكر بضعة أبيات فيما ورد في أكل القات وهو نبات يكثر  
 زرعهِ في بلاد اليمن فيأكلون ورقه ولأهل اليمن ولع كبير  
 بأكله ، ولم نجتمع بأدبائهم مع الأسف حتى نكتب عنهم ما  
 قالوه في القات من لطيف الأشعار ورقتي الأبيات اللهم  
 الا نبذة يسيرة اثبتناها هنا مع ثلاثة أبيات جاءت في النشوق  
 وهو مسحوق الدخان يستنشق في الأنف وكل ذلك يعد  
 من الطرائف والملح وبه تتم هذه الرسالة .

فلجلالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن السابق  
 رحمه الله تعالى المقتول الشهيد سنة ١٣٦٧ هـ . قصيدة طويلة  
 نقتطف منها في القات ما يأتي :

فللعيون جلاء للضعف منه ذهاب  
 وللثغور صباغ زمردى يذاب

أحسن بثغر مليح      له المذاب رضاب  
ياما أحيلاه ظلماً      به تشتفي الأحباب  
ويشخذ الفكر حتى      يخاف منه التهاب  
ويطرد النوم عن      له الجليس كتاب الخ

وقال الشيخ ابراهيم الهندي الصنعاني :

أشبه ثغره والقات فيه      وقد لانت لرقته القلوب  
لآلىء قد نبتن على عقيق      وبينهما زمردة تذوب

وقال بعضهم فيه :

صفت فطابت بأكل القات أوقات  
وأشرقت من سناه نور مشكات  
زبرجد من غصون فاق مطعمه  
على الفواكه من أكل الحلوات  
أما ترى قلم الرحمن خط على  
أوراقه فيها رسم الجلالات  
أتى به الخضر المشهور يحمله  
من بلدة الصين من خير الهدايا

أهداه حقاً لذي القرنين حين شكا  
أصحابه وخماً في بعض أوقات  
من بعد ما أكلوه زال سقمهموا  
وأصبحوا في مسرات وصحات  
كله بما شئت من دنيا وآخرة  
وجلب نفع ودفع للهمات  
ثم الصلاة على المختار سيدنا  
محمد من له فينا شفاعات

وقال بعضهم في النشوق وهو ما يستعمل في الأنف  
من التبغ المطحون :

ما اتخذت النشوق إلا لأني  
فقت في الحب كل صب مشوق  
فابتلاني الهوى بفيض دموعي  
فتسترت باتخاذ النشوق

وقال بعضهم فيه :

إن النشوق وإن جلت منافعه يكفيك منه تعافيش المناخير



# اخْتِتام الرسالة

لما انتهينا من تنقيح هذه الرسالة وإدخال الزيادات فيها  
إستعداداً لطبعها للمرة الثانية ان شاء الله تعالى ، رأينا أن  
نختتمها ببعض أبيات من الحِكَم تكون عِبْرَةً للمتأمل  
الفاضل وَعَظَةً للمطلع العاقل - ولا يُعَدُّ عيباً إذا زيد  
شيء من الفوائد في كتابِ أُلْفَ في فنٍّ مُعَيَّن .  
فنقول وبالله التوفيق .

فَكَمْ لَهِ مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ      يَدَّقُ خَفَاهُ عَنْ فَهْمِ الذَّكِيِّ  
وَكَمْ يُسِرُّ أَتَى مِنْ بَعْدِ عُسْرِ      وَفَرَجَ كُرْبَةَ الْقَلْبِ الشَّجِيِّ  
وَكَمْ أَمْرٍ تُسَاءُ بِهِ صَبَاحاً      وَتَأْتِيكَ الْمَسْرَةُ بِالْعَشِيِّ  
إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الْأَحْوَالُ يَوْماً      فَتَقُ بِالْوَاحِدِ الْفَرْدِ الْعَلِيِّ

\* \* \*

لا تَفْزَعَنَّ إِذَا مَا الْأَمْرُ ضَقَّتْ بِهِ  
ذُرْعاً وَنَمَّ وَتَوَسَّدَ فَارِغَ الْبَالِ

فَبَيْنَ غَفْوَةٍ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا  
يُغَيِّرُ اللَّهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

\* \* \*

أُتْرِكَ الْفِكْرُ فِي الْأُمُورِ وَدَعِيَ  
فَكَمَا قُدِّرَتْ تَكُونُ الْأُمُورُ  
كُلُّ فِكْرٍ وَكُلُّ رَأْيٍ وَحَزَمٍ  
غَيْرُ مُجِدٍّ إِذَا جَرَى الْمَقْدُورُ

\* \* \*

وَلَقَدْ تَمَرُّ الْحَادِثَاتُ عَلَى الْفَقَى  
وَتَزُولُ حَتَّى لَا تَكُونَ بِبَالِهِ

\*\*\*

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَقَى  
ذُرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ  
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا  
فَرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

\* \* \*

يَا رَبِّ مَا زَالَ لُطْفُكَ مِنْكَ يَشْمَلُنِي  
وَقَدْ تَجَدَّدَ بِي مَا أَنْتَ تَعْلَمُهُ

فاصرفه عني كما عودتني كرمًا  
فمن سواك لهذا العبدِ يرحمه

\* \* \*

قد قلتُ لما وهى جسمي وأقلقني  
ما حلَّ بي من سقامٍ أنحلتُ بدني  
وما رماني دهرى من المحنِ  
يا ربَّ إن كان تمرّضي يُقرّبني  
زلفى إليك فبابُ العفو أوسعُ لي

\* \* \*

أو كان من أجل عصياني الذي عظمًا  
وسوء ما قلته جهراً ومكتماً  
فالعفو عمن عصى من شيمة الكرم  
أو كان من أجل تمحيص الذنوب فما  
يحتاج عفوك للأسقام والعِلل

\* \* \*

لأبتهلن تحت الظلام بدعوةٍ  
مق يدعها داعٍ الى الله يسمع

تَغْلغلَ مِنْ بَيْنِ الضَّلّوعِ نَشِيجُهَا  
 لَهُ شافعٌ مِنْ عَبرةٍ وَتَضرّعُ  
 إِلَى فَارِجِ الكَرْبِ المَحيبِ لِمَنْ دَعَا  
 فَزَعَتْ بِكَرْبِي إِنَّهُ خَيْرُ مَفزَعٍ  
 فَيَا خَيْرَ مَدْعُوٍّ دَعَوْتُكَ فَاسْتَمِعْ  
 وَمَا لِي شَفِيعٌ غَيْرُ فَضْلِكَ فَاشْفَعْ

\* \* \*

إِذَا رَفَعَ الزَّمَانُ مَكَانَ شَخْصٍ  
 وَكُنْتَ أَحَقَّ مِنْهُ وَلَوْ تَصَاعَدُ  
 أِنَّهُ أَحَقُّ رُتْبَتِهِ تَجِيدُهُ  
 يُنِيلُكَ إِنْ تَقَارَبَ أَوْ تَبَاعَدُ  
 وَلَا تَقُلِ الَّذِي تَدْرِيه فِيهِ  
 تَكُنْ رَجُلًا عَنِ الْأَهْوَا تَقَاعَدُ  
 فَكَمْ فِي الْعُرْسِ أَبْهَى مِنْ عُرُوسٍ  
 وَلَكِنْ لِلْعُرُوسِ الدَّهْرُ سَاعِدُ

\* \* \*

إِنْ الْكَرِيمَ لِيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ  
 حَتَّى تَظُنَّ غِنَاهُ وَهُوَ بِمَجْهُودُ

\* \* \*

حَمَلْنَا مِنْ الْإِيَّامِ مَا لَا نُطِيقُهُ  
كَمَا حَمَلَ الْعَظْمُ الْكَسِيرُ الْعَصَائِبَا

\* \* \*

مَحَنُ الْفَقِي تَخْبِيرُنَ عَنْ فَضْلِ الْفَقِي  
وَالنَّارُ مُخْبِرَةٌ بِفَضْلِ الْعَنْبَرِ

\* \* \*

فَبَعْضُ الظَّالِمِينَ وَإِنْ تَنَاهَى شَيْءَ الظُّلْمِ مَغْفُورَ الذَّنُوبِ

\* \* \*

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ قَوْمٌ عَاهَدَتْهُمْ  
يَرُونَ اكْتِسَابَ الْفَضْلِ أَزْرَى الْمَكْسَبِ

وَمَا عِنْدَهُمْ فَضْلٌ سِوَى كَثْرَةِ الْغِنَى  
وَلَا الْمَجْدِ إِلَّا أَخَذَ بَعْضُ الْمَنَاصِبِ

فَضَائِلُهُمْ مَحْشُوءَةٌ فِي ثِيَابِهِمْ  
وَأَوْرَادُهُمْ إِتْقَانُ هَزِّ الْمَنَائِبِ

\* \* \*

تَكْفِي اللَّيِّبِ إِشَارَةٌ مَكْتُوبَةٌ  
وَسِوَاهُ يُدْعَى بِالنَّدَاءِ الْعَالِي

وَسِوَاهُمَا بِالزَّجْرِ مِنْ قَبْلِ الْعَصَا  
ثُمَّ الْعَصَا هِيَ رَابِعُ الْأَقْسَامِ

\* \* \*

أُسْرَةُ الْمَرْءِ وَالِدَاهُ وَفِيهِ بَيْنَ حُضْنَيْهَا الْحَيَاةُ تَطِيبُ  
فَإِذَا مَا طَوَّاهَا الْمَوْتُ عَنْهُ فَهُوَ فِي النَّاسِ أَجْنَبِيٌّ غَرِيبُ

\* \* \*

إِنْ الْبَقَاعُ إِذَا نَظَرْتَ رَأَيْتَهَا  
تَشْقَى كَمَا تَشْقَى الرِّجَالُ وَتَسْعَدُ

\* \* \*

خَيْرُ الْأُمُورِ الْوَسْطُ الْوَسِيطُ وَشَرُّهَا الْإِفْرَاطُ وَالتَّفْرِيطُ

\* \* \*

فَلَرُبُّمَا مَنَعَ الْكَرِيمُ وَمَا بِهِ بِخُلٍّ وَلَكِنْ سَوْءُ حَظِّ الطَّالِبِ

\* \* \*

غَضَبُ الْكَرِيمِ وَإِنْ تَأَجَّجَ نَارُهُ  
كَدُخَانِ عُودٍ لَيْسَ فِيهِ دُخَانُ

\* \* \*

الْعِلْمُ فِي الرَّجُلِ الْحَلِيمِ فَيُضِلُّهُ  
وَنَقِصَةُ فِي الْإِحْمَقِ الْمَطْيَاشِ  
مِثْلُ النَّهَارِ يَزِيدُ أَبْصَارَ الْوَرَى  
نُورًا وَيَعْشَى أَعْيْنَ الْخَفَّاشِ

\* \* \*

والنجمُ تستصغرُ الابصارُ رؤيتهُ  
والذنبُ للعينِ لا للنجمِ في الصغرِ

\* \* \*

قيمة الانسان بالعلم كما قيمة العلم بمالٍ مُسعيدٍ  
فاسعٌ في تحصيل كلِّ منها فهما للمرء أهني موردٍ

\* \* \*

العلم زرعٌ والتأملُ مأوئُهُ  
والذهنُ أرضُ والمعلمُ زارعُ  
والبحثُ فيه شمسُهُ وسمائُهُ  
مُلقي الأفاضلِ واختلاطُ نافعٍ  
ونموُّه بإفادةٍ ونماؤُهُ  
عملٌ إلى أعلا المراتبِ رافعُ  
ونفاقُ هذا العلمِ في سوقِ الآ  
قبولِ ثقيٍّ وإخلاصٍ به وتواضعٍ  
ثم التكبرُ والرياءُ والعُجبُ آ  
فاتٌ وكلُّ السعادةِ مانعُ

\* \* \*

قومٌ مضوا كانت الدنيا تزان بهم  
والدهرُ كالعيدِ والاقوات أوقاتُ  
ماتوا وعشنا فعاشوا بعد موتهم  
ونحنُ في صورِ الأحياءِ أمواتُ

\* \* \*

وما عبّر الانسانُ عن فضل نفسهِ  
بمثل اعترافِ الفضلِ في كلِّ فاضلٍ

\* \* \*

رُبَّ حيٍّ كَمِيتٍ ليسَ فيهِ أملٌ يُرتجى لنفعٍ وضرٍّ

\* \* \*

مَثَلُ الجاهلِ في إعجابه مَثَلُ الناظرِ من أعلا الجبلِ  
ينظرُ الناسَ صغاراً وهو في أعينِ الناسِ صغيراً لم يزلْ

\* \* \*

دخلَ الدنيا أناسٌ قبلنا وجَلَوْا عنها وخلقوها لنا  
ودخلناها كما قد دخلوا ونُخلِّيها لقومٍ بعدنا

\* \* \*

ما الدهرُ الاَّ ليلةٌ ويومٌ ويقظةٌ بينهما ونومٌ  
يموتُ قومٌ ويعيشُ قومٌ والدهرُ قاضٍ ما عليه لومٌ

\* \* \*

دنيا تتقلبُ أشكالٌ وكلُّ شكلٍ ولُو حاله  
وكلُّ عهدٍ ولُو أبطالٌ وكلُّ جيلٍ ولُو رجاله  
الدنيا دي زِيَّ السَّيِّمِ وكلُّها زيُّ الصَّالِ  
فيها مناظرٌ واستعراضٌ وبرّاضها مُشْ بَطَّالَه

\* \* \*



أَيَّامٌ تَجِي وَأَيَّامٌ تَرُوحُ    وَنَاسٌ تَجِي وَنَاسٌ تَتَوَفَّهُ  
وَكُلُّ شَايِبٍ قَبْلَ مَا شَابَ    كَانَ أَصْلُهُ عَيْلٌ فِي السَّلَفَةِ  
وَاللِّي يُلَفُّ مَسِيرَ يَنَامٍ    مَهَا يُطَوِّلُ عَهْدَ السَّلَفَةِ  
وَاللِّي تَلَاقِيهِ عَامِلٌ مَيِّتَمٌ    بَكَرُهُ تَلَاقِيهِ عَامِلٌ زَفَةِ

\* \* \*

إِلِّي أَنْكَتَبُ عَ الْجَبِينِ لَازِمٌ تَشَوَّفُو الْعَيْنِ  
وَعِنْدُكَ وَمَكْتُوبُكَ يَا قَلْبِي كَانَ مُخَبَّأً فِينِ  
إِنْ كَانَ كِدَّةً قَسَمَتَكَ بِخَتِكَ أَجِيئُو مِنِينِ  
سَلِّمْ أُمُورَكَ يَا قَلْبِي وَامْتَثِلْ لِّلَّهِ

\* \* \*

وَاللَّخِيرَ أَهْلٌ يُعَرَفُونَ بِهَدْيِهِمْ  
إِذَا اجْتَمَعَتْ عِنْدَ الْخُطُوبِ الْمَجَامِعُ  
وَاللَّشَرَّ أَهْلٌ يُعَرَفُونَ بِشَكْلِهِمْ  
تَشِيرُ إِلَيْهِمْ بِالْفَجْرِ الْأَصَابِعُ

\* \* \*

قُلْ لِمَنْ أَبْصَرَ حَالاً مُنْكَرَةً  
وَرَأَى مِنْ دَهْرِهِ مَا حَيَّرَهُ  
لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ مَا أَبْصَرْتَهُ  
إِنَّ مَنْ عَاشَ يَرَى مَا لَمْ يَرَهُ

\* \* \*

قلْ لِمَنْ شَاهِدَ أَمْرًا أَفْلَقَهُ ۖ وَرَأَى مَا تَسْجِلُ الْفَسَقَهُ ۚ  
سَتَرَى هَذَا الَّذِي تُتَكْرَهُ ۚ مُسْتَجِبًا بَعْدَ تِلْكَ الطَّبَقَهُ ۚ

\* \* \*

هَلْ يَعْقِلُ الْمَرْءُ وَهَلْ يَسْمَعُ ۚ فَمَا الَّذِي يَشْكُو لَهُ الْمُوَجَعُ ۚ  
وَكَلَّنَا شَاكٍ وَبَاكِ عَلَى ۚ أَشْيَاءَ قَدْ زَالَتْ ۚ فَلَا تَرْجِعُ ۚ  
كَمْ تَحْتَ جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ مَهْجَةٍ ۚ تَكَادُ لَا تَمْسِكُهَا الْأَضْلَعُ ۚ  
وَصَاحِبُ النِّعْمَةِ لَا هِيَ بِهَا ۚ وَحَامِلُ النِّقْمَةِ لَا يَهْجَعُ ۚ  
رُحْمَاكَ يَا خَالِقُ هَذَا الْوَرَى ۚ إِرْثٍ لِبُلُوَاهُ ۚ إِذَا يَضْرَعُ ۚ  
صَعْبٌ عَلَيْنَا بَعْضُ مَا قَدْ جَرَى ۚ أَمَّا إِذَا شِئْتَ فَمَا نَصْنَعُ ۚ

\* \* \*

إِنْ سُمِّتَ الْحَيَاةَ فَارْجِعْ إِلَى الْآرِ  
ضٍ تَنْتَمِ آمِنًا مِنَ الْإِوْصَابِ  
تِلْكَ أُمٌّ أَحْنَى عَلَيْكَ مِنَ الْأُمِّ  
الَّتِي خَلَقْتِكَ لِلْأَتْعَابِ  
لَا تَخَفْ ۚ فَالْمَمَاتُ لَيْسَ بِمَلْجَأٍ  
مِنْكَ إِلَّا مَا تَشْتَكِي مِنْ عَذَابِ  
كُلِّ مَيِّتٍ بَاقٍ وَإِنْ خَالَفَ الْإِلَّهَ  
عِنَاوَانُ مَا نَصَّ فِي غُضُونِ الْكِتَابِ  
وَحَيَاةُ الْمَرْءِ اضْطِرَابٌ ۚ فَإِنْ مَا  
تَ فَقَدْ عَادَ سَالِمًا لِلتَّرَابِ ۚ

\* \* \*

كُلُّ مَنْ لَاقَيْتُ يُشْكُو دَهْرَهُ      لَيْتَ شِعْرِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِمَنْ  
 الْمُتَرُّ قَدْ بَلَاهُ مَالُهُ      يَتَجَافَى الْجَنْبَ عَنْ مَهْدِ الْوَسَنِ  
 أَمْ لِمُضْطَرٍّ رَمَاهُ فَقَرَهُ      بِسَهَامِ الضَّنْكِ عَنْ قَوْسِ الْإِحْنِ  
 أَمْ لِحُرٍّ إِنْ يَزِدُّ مِنْ عِلْمِهِ      فَضْلُهُ يَزِدُّ لَهُ حَقْدُ الزَّمَنِ  
 أَمْ لَذِي جَهْلٍ وَقَدْ كُنَّوْا بِهِ      عَنْ بَهِيمٍ فَاتَهُ فَضْلُ الرِّسَنِ  
 حِكْمَةٌ تَاهَتْ عَقُولُ النَّاسِ فِي      دَرَكِهَا أَوْ قَصَّرتْ كُلُّ الْفِطَنِ  
 كُلُّ مَنْ لَاقَيْتُ يُشْكُو دَهْرَهُ      لَيْتَ شِعْرِي أَبْعَثُ الشُّكُوى لِمَنْ

\* \* \*

وَأَطِيبُ أَوْقَاتِي مِنَ الدَّهْرِ خُلُوةً  
 يَقِرُّ بِهَا قَلْبِي وَيَصْفُو بِهَا ذَهْنِي  
 وَيَأْخُذُنِي مِنَ سَوْرَةِ الْفِكْرِ نَشُوءَ  
 فَأَخْرُجُ مِنْ فَنٍّ وَأَدْخُلُ فِي فَنٍّ  
 وَيَفْهَمُ مَا قَدْ قَالَ عَقْلِي تَصَوُّرِي  
 فَنَقْلِي عَنْ أَذْنِي وَسَمْعِي بِهَا مِنيَّ  
 وَأَسْمَعُ مِنْ نَجْوَى الدَّفَاقِرِ طَرْفَةً  
 أَزِيلُ بِهَا هَمِيَّ وَأَجْلُو بِهَا حُزْنِي  
 يَنَادُونِي قَوْمٌ لَدَيَّ حَدِيثُهُمْ  
 فَمَا غَابَ مِنْهُمْ غَيْرُ شَخْصِهِمْ عَنِّي

◆◆◆

الى هنا نُمسك عِنانَ القلم ، وأسأله سبحانه وتعالى الذي  
أودعَ في كلِّ قلبٍ ما أشغله ، ان يُخليَ قلبي من الشواغل  
الدنيوية ، ويملأه نوراً وعلماً وحكمةً ، وان يوفّقني بعد  
الآن للاشتغال بما ينفعني ليوم الدين ، يوم لا ينفع مالٌ  
ولا بنون الاّ مَنْ أتى الله بقلب سليم ، وان يتولّاني  
بِعِنايته الربّانية حتّى تنشط أعضائي لعبادته ، وان  
يرزقني الصّحة والعفوّ والعافية ، وان يختمَ حياتي بالايّمانِ  
الكاملِ ، وان يمنحني الراحة عند الموت والعفوّ عند  
الحساب ، وان يجعلني في الدارين من الذين لا خوفٌ  
عليهم ولا هم يحزنون ، فضلاً منه ورحمةً إنّهُ بعباده  
لطيفٌ خبيرٌ وانه كغفورٌ رحيم آمين ، وصلى الله وسلم على  
نبيّنا محمّدٍ أبي القاسم الامين وعلى آله وصحبه أجمعين .

صرفتُ زماناً في فنونٍ جمعتها  
وأفرغتُ جُهدي والجئون فنونُ

فلما تجلّى الامرُ وانكشفَ الغطا

تبين لي انّ الفنونَ جنونُ

اللهم اكشف عنا حجب الجهل والغفلة ، ونور بواطننا بنور  
معرفتكَ ، وبيّض وجوهنا بالاستقامة التامة ، ووجه ضمائرنا الى  
الحق والخير ، وافتح أعين بصائرنا حتّى نشغل بطاعتك وذكرك ،  
وطهر قلوبنا حتّى نلقاك بقلب سليم ، بفضلِكَ ورحمتِكَ يا ارحم  
الراحمين ويا اكرم الاكرمين آمين ، سبحانه ربك ربّ العزّة  
عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين .

المؤلف

محمد طاهر الكردي المكي الخطاط بمكة المشرفة

# المحتوى

٣	.	.	.	.	.	خطبة الطبعة الاولى
٦	.	.	.	.	.	خطبة الطبعة الثانية
٩	.	.	.	.	.	ترجمة الصحابي نعيان الانصاري
١٢	.	.	.	.	.	مقدمة
١٣	.	.	.	.	.	تاريخ المقاهي
١٧	.	.	.	.	.	المقاهي والمجتمع
٢١	.	.	.	.	.	قصيدة في صاحب مقهى
٢٤	.	.	.	.	.	أصل الشاي
٢٧	.	.	.	.	.	أصل القهوة
٢٩	.	.	.	.	.	القهوة في آسيا وأفريقيا
٣٨	.	.	.	.	.	أول كتاب وضع عن القهوة
٤٢	.	.	.	.	.	أصل الدخان
٤٥	.	.	.	.	.	القسم الاول : ما جاء في الشاي
٩٥	.	.	.	.	.	القسم الثاني : ما جاء في قهوة البن
١١٩	.	.	.	.	.	القسم الثالث : ما جاء في الدخان
١٢١	.	.	.	.	.	التدخين في البلاد العربية
١٣٧	.	.	.	.	.	حساء وسيجارة
١٦١	.	.	.	.	.	اختتام الرسالة
١٧٣	.	.	.	.	.	كتب المؤلف

تصميم الغلاف  
الاستاذ عبد السلام الشريف

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف وولده

الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م

الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م



الدار السعودية  
للأبحاث والتوثيق

جدة

الإدارة : البغدادية - عمارة الجوهرة - الدور الثاني - شقة رقم ٧ - ١٢

● تليفون ٦٤٢٤٢٥٥/٦٤٢٤٠٤٣/٦٤٣٢٨٢١

المستودعات طريق مكة المكرمة شرق المطار القديم ● تليفون ٦٤٧٢٣٩١

● تلکس ٤٠٤٣٥١ نشر ● ص.ب ٢٠٤٣

المكتبة : شارع الملك عبد العزيز ● تليفون رقم ٦٤٧٨٧٢٣

المكتبة : شارع فلسطين - مركز الزومان ● تليفون ٦٦٠٨٩٦٤

الدمّام : الشارع العام - ص.ب ٨٩٩ ● تليفون رقم ٨٣٣٥٥٢٠/٨٣٢٣٥١٥

الرياض : السليمانية - ص.ب ٩٤٧٢ ● تليفون : ٤٦٩٠٨٦/٤٦٤٧٥١٥



## هذا الكتاب

احببت ان اجمع رسالة  
لطيفة مما قاله الادباء  
والظرفاء فيها على سبيل  
الفكاهة ، ولم اتعرض  
لذكر منافعها او مضارها  
لان ذلك لا يخفى على  
اولي الحكمة والنباهة  
وكم ذكر فطاحل القراء  
قديماً وحديثاً في الخمریات  
من القصائد والأبيات .  
جمعتها لمفاهة الأخوان  
الافاضل ، ومنادمة  
الاصدقاء الامائل ،  
جلباً للبسط والانشراح  
وترويحاً للنفس بلطيف  
المزاح « فقد قيل » ان  
القلوب تصدأ كما يصدأ  
الحديد ، وتملُّ كما تملُّ  
الابدان .